

روايات مصرية للجيب



أسطورة

65

ما وراء الطبيعة  
العلامات الدائمة

Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

د. محمد خير الدين



## المقدمة

يعرف عدد من الأصدقاء أن هذا ليس كتيب ( العلامات الدامية ) في صورته الأولى .. لقد تم حذفه وأعيدت كتابته بالكامل ، ولهذا قصة يطول شرحها .. لا أعرف إن كان هذا هو القرار الأصوب .. ربما كان الكتيب أفضل حالاً في صورته السابقة ، لكن أوان اتخاذ قرارات كهذه قد تأخر للغاية ..

هي تجربة ربما تستمر وربما تتوقف ، لكنني شعرت بالحاجة إلى دماء جديدة تحقق في السلسلة .. وهذه الدماء ليست سوى زيادة سرطانية في عدد الصفحات وربما الأفكار ، مع تقليل عدد الإصدارات السنوية .. قلل أجدادنا إن العدد في الليمون ، وأنا لم أتباه يوماً بأنني مزارع ليمون نشط ..

دعونا نتجاهل هذه المقدمة إذن تلك التي لا دور لها إلا أن تثب بالمؤلف إلى المقدمة بلا داع ولنتكلم عن حكاية اليوم التي اجتمعنا لها .. يقول ( ستيفن كنج Stephen King ) : « من الخير أن يتوارى المؤلف تماماً فلا يعود له وجود بعد الصفحة الأولى .. » .. على أن الأمر يختلف



بصدقنا نوعاً لأن هناك مؤلفاً لا داعي للكلام عنه وبطلاً حقيقياً يتكلم بضمير الشخص الأول هو العجوز الثرثار (رفعت إسماعيل) .. وهذا العجوز لا يمكن أن يتواري ..

كما تعرفون أنا (رفعت إسماعيل) ذاته .. أستاذ أمراض الدم المتقاعد .. يقول المهتمون بهذا الفرع الشائق من الطب إتني جيد .. لكن غالبية من سمعوا اسمي عرفوني طارداً للأشباح أو مطارداً لها .. هناك من يحسبني بارعاً أنتمي لعالم (راين) و (دي) وغيرهما ، وهناك من يحسبني نصابياً ينتمي لعالم (يوري جيلر) وسواه .. فقط أقول إتني لم أطلب مليماً لقاء ما أعرفه ، ولم أقدمه على مسرح ، ولم أطلب الإعجاب أو التصديق .. من يعرفني جيداً يعرف أن جل ما أطلبه هو أن أترك وشأني .. لكن هذا من المستحيلات في عالمنا ..

الآن حان وقت الكلام .. وأنا بحق أحب الكلام .. إنه دليل لا شك فيه على أنني ما زلت حياً ..

قصتي اليوم تحكى عن ظاهرة غريبة بعض الشيء .. ظاهرة تلك الكهوف في الهند حيث ..

لحظة .. سأراجع غلاف هذا الكتيب .. عم كنت أنوى

الحديث ؟ العلامات الدامية ؟ أنا وعدت بالحديث عن العلامات الدامية ؟ أليس هذا غريباً بعض الشيء ؟ ألم ينصحنى أحدكم بالعكس ؟

ليكن .. ظاهرة العلامات الدامية .. إنها في النهاية قصة كآبة قصة أخرى ..

هل سمعت عنها ؟ لا ؟ إذن دعنا نبدأ في الحال بلا مقاطعة ..



## تمهيد

منذ العام ١٩٦٠ لم يستيقظ عم (جلال) لصلاة الفجر ..  
وهذا لسبب بسيط جدًا هو أنه لم يتم قط قبلها ..

فى ذلك الشارع الضيق الصغير كان الضوء الوحيد  
ينبعث من بقائه ، وكان هو المكان الوحيد فى العالم  
بالنسبة لسكان الشارع على الأقل الذى تستطيع أن تتباعد  
منه غلبة سردين أو شاي أو تبغ بعد الثانية صباحًا ..

إنه مكان دافئ آمن يشبه الفئار للسفن الضالة .. هناك  
سوف تقترب لتجده جالسًا وسط المحل بين البضائع ..  
موقد الكيروسين يدفئه الجميل وصوته العذب فى ليالى  
الشتاء . والبطانية على كتفيه وصوت ( أم كلثوم ) ينبعث  
من ذلك المذياع العتيق المربوط بالحبال ..

سوف تقف عنده متلذذًا بذلك الشعور: ظهرك يرتجف  
من الصقيع ووجهك ينعم بالدفء .. شعور يبعث فىك  
الشعيرة مع رغبة عارمة فى أن تدخل لتنام بالداخل ،  
لكن هذا مستحيل لأن المحل ضيق جدًا .. وقد رتب هو كل  
شيء بحيث لا يضطر إلى النهوض أبدًا ..

لكن بقالة عم (جلال) من المواضع النادرة فى العالم التى

تجعلك تشعر بأن الحياة تستحق أن نحياها .. وقد قالت  
زوجة من ساكنات الشارع :

— « لو صحوت يومًا فوجدت أن هذا الرجل مات ،  
لشعرت بأن العالم قد تهاوى .. »

الرجل نفسه عجوز باسم لم يترك مرضًا فى كتب الطب  
إلا اتخذ لنفسه كما يقتنى هواة النفائس مقتنياتهم ، وإلى  
حد ما كنت تشعر بأنه يفخر بأمراضه هذه .. إنه يحدثك  
باعتراف عن النقرس ويحدثك بفخر عن الروماتزم ويحدثك  
بكبرياء عن داء السكرى .. ولو كان ذا ثقافة طبية لاتخذ  
مرضًا غريب الاسم مثل ( التهاب الحيزوب ) أو ( الاتسكاب  
البلورى ) ليضمه لمجموعته ..

هكذا يظل الرجل فى متجره وحيدًا لا تعرف فيما يفكر ولا  
أية ذكريات يجتزمها ، ثم يتعالى صوت الأذان من زاوية  
قريبة فينهض .. معجزة أن تراه ينهض كأنك ترى أحد  
ديناصورات ( راي هارى هاوزن Haussen ) المتخشبة فى  
أفلامه القديمة .. حتى توشك أن تبكى تأثرًا لرؤية هذه  
المعجزة ..

إنه يغلق المتجر .. يمشى إلى المسجد وهو يردد الأدعية



بصوت خفيض .. يؤدي الصلاة ثم ينصرف إلى داره .. إنه يعيش بلا ولد مع زوجة عجوز مثله في شقة ضيقة بذات الشارع ..

هكذا لن تراه ثانية إلا بعد صلاة الظهر ..

أعترف أنني كنت أهم حياً بهذا المتجر وهذا الرجل .. بالنسبة لوطواط حقيقي مثلي كنت بحاجة إلى شخص مثله .. وهكذا كنت أحياناً أستقل سيارتي وسط شوارع المدينة المظلمة الغافية حتى أصل إلى هذا الشارع .. وهناك أتوقف عنده وأبتاع شيئاً أو شئين لا حاجة لي بهما ، وأتبادل معه كلمات عن ( أم كلثوم ) وعن البرد وعن داء السكري .. لابد من أن يسألني عن دواء ما لشيء ما ، فأكتبه له على قصاصة ورق .. وأنا أعرف يقيناً أنه لن يبتاع هذا الدواء وأن القصاصة ستضيع خلال خمس دقائق ..

أرمل بشفقة وجهه العجوز الطيب المريض ، ويخطر لي أن هذا الرجل كان طفلاً يوماً ما وكانت له أم تعلمه المشي وتبدل ثيابه .. كان شيئاً نضراً عزيزاً . أما اليوم فموته حدث مؤسف لا أكثر . سوف ننساه بعد دقائق ..

أحياناً كنا نتبادل السعال لا أكثر ، وأعترف أن هذه كانت من أعمق المحادثات التي سمعتها في حياتي ..

أحياناً كنت أقف صامتاً لأصغي في تهيب لصوت موقد الكيروسين الذي أعتقد أنه يجب أن يضم إلى السيمفونيات العالمية .. وأدري أسئلة عديدة .. من أين يبتاعون هذا الاختراع الساحر ؟ كيف يشعلونه ؟ من أين يبتاعون الكيروسين وأنا لم أر بائع كيروسين في شارعنا منذ ٨٦ سنة ؟

ثم أنصرف وأنا أتهد .. نعم .. أعترف أنني أحب هذا الرجل بجنون ..

\*\*\*

في ذلك اليوم نهض الرجل كعادته ليقصد المسجد ..

أغلق المتجر .. وبدأ زحفه البطيء المتثاقل إلى الزاوية في نهاية الشارع .. هناك منعطف بعدها يصل .. والطقس بارد يجعله يلتف أكثر بذلك المنعطف الصوفي العتيق ويحكم التلويحة أكثر حول عنقه .. إنه يتوضأ في المتجر دوماً بماء قام بتدفنته لأنه لن ينزع هذه البطانية أبداً إلا في داره ..

لنا الآن أن نتصور الشارع الضيق الصامت .. هناك كلب ضال أو كلبان يلتهمان شيئاً في لفافة تخلص منها أحد



الجيران .. ثم يعوى قط في مكان ما وقد أصابه الهلع فتطلق الكلاب كالبرق خلفه ..

إضاءة عمود النور الخافتة .. المتاجر والمطعم التي تعج بالصخب صباحاً وهي الآن غافية كالنوم تماماً ..

جو يثير الخيال لكن من قال إن عم (جلال) يملك أي قدر من الخيال ؟ مناخ يبعث التوجس .. لكن من قال إن الرجل يخشى شيئاً ؟ من يرد شيئاً من رجل عجوز مثله فليعمل .. لو قتلوه لاختصروا عذاب الشيوخة .. ولو سرقوه فلا يعنى هذا أكثر من ضياع جهد يومين ..

هكذا يواصل مسيرته التي تستغرق عدة قرون نحو المنعطف ..

ولكن .. ما هذا الصوت ؟ هل هي بومة ؟

ا ج ج ج ج ت ت و و و ش ش ش ش ش ش !!

لا .. ليست بومة .. إنه أقرب إلى صوت شخص يئن .. لكن من الذي يصدر صوتاً كهذا عندما يئن ؟

ا ج ج ج ج ت ت و و و ش ش ش ش ش ش !!

إن الصوت يأتي من مدخل تلك البناية العتيقة التي تحرس زاوية الشارع .. بناية من طابقين نخرين لا يميزها شيء .. لكن الصوت يخرج منها بالذات ..

هكذا تقرب أكثر ونظر عبر المدخل بعينين لا تريان ..

وهتف بصوته قواهن :

- « يا أهل الله ! »

لا أحد يرد ..

عبث في جيب المعطف حتى وجد علبة للثقاب .. يحملها معه دائماً برغم أنه لا يدخن .. لأنه يشعل سجائر الزبائن الذين يقفون بشرثون معه .. شريك ! اشتعل العود ..

وعلى الضوء المتراقص مد عنقه يتلحص المدخل .. سلحفاة عجوز تطل من درقها في شك ..

وعلى الفور أدرك أنه يرى ذلك الجسد الراقص على الأرضية .. جسد بشري تحيط به بركة صغيرة من السماء .. وبنا أكثر وقلبه يتوثب بين ضلوعه فرأى المشهد بشكل أوضح لكنه لم يتبين شيئاً ذا بال .. عندما نخلع لا نبصر للتفاصيل .. فقط نأخذ انطباعاً عاماً ..



ونظر إلى الجدار فوجد أن الدم قد تناثر عليه ..

وفي ضوء اللهب الراقص استطاع أن يقرأ كلمة كتبت  
بالدم وبوضوح شديد :

عباس

عند هذه اللحظة كان قلبه قد تحمل الكثير جدًا .. إنه ذلك  
الأمم العاصر الذي يجتاح عظمة القص ويتسلل إلى كتفه  
اليسرى .. سقط العود من يده ..

واستند إلى الجدار شاعرًا بالخطر ..

قلبه الذي تحمله خمسة وستين عامًا يوشك على أن  
يعلن الإضراب ..

فتح فمه وأطلق بصوته الواهن أعلى أنين استطاع أن  
يصدره ..

## الجزء الأول

# العلامات الدامية

وهذا القاتل - ككل القتل المتسلسلين في الواقع -

يحب أن يترك شيئًا يدل على خططه أو يدل عليه ..

نحن لم نعد هذا الطراز من القتل في مصر ، لكنهم

في الخارج يعرفون هذه الأساليب جيدًا .. لديهم مثلًا

(زودياك) الذي كان يرسل بطاقات لرجال الشرطة

وما إلى ذلك .. يقولون إنها تتجاوز رغبة التفاخر

الطفولي .. إنها رغبة ماسوشية في عقاب الذات ،

ورغبة في أن يضبط .. أي أنه يقدم بنفسه للشرطة

الخيط الذي يقود إليه .



تقول (فاتن) :

- « بابا يعمل فلا تضايقاه .. »

تقول (فاتن) :

- « بابا عبقري .. هذا هو كل شيء »

تقول (فاتن) :

- « بابا من الطعام الذين تسمعان عنهم .. »

تقول هذا كله لـ (رامى) و (نهى) ، فتسمع عنها الطفلين فى رهبة ويقرران ألا يضايقا أباهما أبداً .. طبعاً يبران بهذا القسم ربع ساعة أو أقل .. ثم ينتصر شيطان الطفولة ويعودان للصخب .. كان هذا يذكرها بدمع من المخدرات الذى يقسم على التوبة ، فقط إلى أن ينخفض مفعول المخدر فى دمه ..

كانت (فاتن) تقول هذا لأنها تؤمن أن على الأطفال أن يفخروا بأبيهم ، وكانت تضى على وجهها كل أسرار الصديق والتهيب ، حتى يقتنع الطفلان ..

لكنها حينما كانت تنفرد بنفسها كانت تذكر أنها بالغت قليلاً .. هى بالفعل لا تستطيع الاعتقاد بأن ما يقوم به (زكى) بهذه الأهمية ..

كان يستيقظ من نوم العصر فى السادسة مساءً ، ويقف لحظة أمام باب غرفة النوم يحك شعره المجعد الذى انتثر حول رأسه نصف الأصنع ، ثم يتشأب كأفراس النهر .. ويتجه إلى الحمام .. بعد دقائق يجلس فى الصالة يرمى للمكان بعينين لا تريان وعلامات النعاس تبدو على كل شيء فيه .. ثم يقول لها بلهجة متعبة أمرة :

- « القهوة يا (فاتن) .. »

فتهرع إلى المطبخ لتعد له القهوة السادة التى يحبها .. تعود له بالقدرح فيرتشف منه فى وقار وتؤدة ، ثم يضعه جانباً ويقول عبارته الشهيرة :

- « شكراً يا ستى »

ثم ينهض متثاقلاً إلى غرفة المكتب .. بعدها ينغلق الباب وتمر الساعات تلو الساعات دون أن يخرج .. وفى العاشرة مساءً تدق الباب لتضع أمامه صحيفة عليها بعض شطائر الجبن ، يلتهمها حيث جلس على الأرض فى الغرفة وحوله



تنتشر أوراق عتيقة جدًا .. سبب جلوسه على الأرض هو أنه لا مكان لهذا كله على المكتب ..

يلتهم الشطائر ثم يطلب القهوة من جديد ويسأل عن الأطفال .. لقد نام الصغيران طبعًا ..

تجلس في الصالة تتابع التلفزيون بعض الوقت وتحاول أن تفتح نفسها بأنها سعيدة .. وعند منتصف الليل تدخل فراشها وتنام ..

فقط تشعر به في الثانية صباحًا يندس تحت الملاءات وهو يلهث بردًا وإرهاقًا .. وبعد قليل يتعالى صوت شخير ..

ليس شخيرًا فقط .. أحيانًا تسمعه يتكلم أثناء نومه لكنها لا تفهم على الإطلاق ما يقوله .. أصوات مختلطة كزئير الدببة الغافية في بيئات الشتوى .. لكنها تبعث في نفسها رعدة ما .. تقول لنفسها : صاحب هذه الأصوات ليس نقي الضمير .. لا يمكن أن يكون نقي الضمير .. ثمة شيء يثقل كاهله ..

وفي السادسة صباحًا تنهض .. تعد الطفلين للمدرسة وتعد له الإفطار والقهوة .. يرتدى بذلته ويحمل حقيبة الأوراق وينطلق إلى العمل ..

إنه أستاذ بالجامعة .. أستاذ تاريخ على وجه التحديد .. لا تعرف أية تفاصيل أخرى ، لكنها تفتح نفسها بأنه عبقرى وأنه يقوم بأشياء مهمة جدًا تجعلها لا تراه على الإطلاق .. ولا تعرفه على الإطلاق ..

كانت تحب بيتها بحق .. لهذا كانت على استعداد لقبول الكثير ، لكنها كانت تتمنى أن تشعر بأنها تملك شيئًا في عالمه .. شيئًا واحدًا فقط .. والأدهى أنها لم تكمل تعليمها ، لهذا لم تستطع قط أن تفهم شيئًا على الإطلاق من عالمه .. إنها أشياء مهمة وكلى ..

وقد صارحت أمها بهذا ذات يوم فقالت لها :

« أنت مدللة .. هكذا شأن النساء .. يقضى الزوج جل يومه خارج البيت فتملأ الدنيا صراخًا .. يقضى جل يومه في البيت فتشكو وتبكي .. أحمدي الله على أنك تعرفين أين زوجك .. وتعرفين ما يفكر فيه بالضبط .. لو لم يهتم بتلك الأوراق لاهتم بالنساء الأخريات .. »

لكنها لم تر فرقًا كبيرًا .. وخطر لها أن زوجها لو اهتم بالنساء الأخريات لبدأ لها على الأقل بشرب لا يقتصر للإحساس .. ذات مرة سمعت في المذياع قصة رافت لها عن



( الفارابي ) - أم هو ( الجاحظ ) ؟ - الذي سكبت حماته محبرته .. فلما سألتها عن السبب قالت له : هذه للمحبرة أشد خطراً على ابنتي من ألف ضرة ..

سمعت هذه القصة فلم تستطع إلا أن تتبهر بحكمة هذه المرأة ودقتها في التعبير ..

\*\*\*

لعل القصة بدأت يوم الثلاثاء الأول من الشهر ..

إنه اليوم الذي يسافر فيه إلى قريته كل شهر .. هي تعرف هذا لأنه يصادف يوم إجازته .. وقد قررت في ذلك اليوم أن الوقت قد حان لتنظيف الغرفة كما كانت تفعل يوماً كل شهر .. مرة كل شهر .. هذا هو أعلى معدل يمكن أن يسمح به ..

دخلت غرفة المكتب وراحت تزيل الغبار عن الأرفف والمكتب العتيق .. ثم بدأت تجمع الأوراق المتناثرة ، وخطر لها أن هذه الأوراق عتيقة حقاً .. حاولت أن تقرأ الموجود لكنه كان بحروف لاتينية يمكنها أن تقرأها لكنها لا تفهمها .. لكن هناك الكثير من الرسوم التخطيطية .. ثمة نواتر مقسمة تخرج منها أسهم ونجوم وأشياء لا يمكن فهمها ..

للشيء الغريب هو أن هذه الأوراق متسخة .. هناك من سكب عليها قنحاً من الشيكولاته الساخنة يوماً ما ، والدليل هذه البقع البنية الواسعة التي لا تمنع القراءة لكنها لا تجعلها سهلة ..

جمعت الأوراق قدر استطاعتها ووضعتها على المكتب .. ثمة شيء وقع على الأرض فاتحنت تلتقطه ..

آه ! هنا شيء مهم ..

صورة بحجم هذا الكتيب .. صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود لفتاة .. هذه الصورة كانت بين الأوراق . و ( فاتن ) على قدر من الحصافة لتعرف أن هذه فتاة حقيقية .. ليست مجرد موديل تم انتزاع صورتها من مجلة ..

هكذا جلست ( فاتن ) إلى المكتب وهي تشعر بأن رأسها يوشك على الانفجار .. فتاة جميلة هي .. شقراء .. على الأرجح هي أجنبية .. وما هي ذي تنظر إلى الكاميرا في نظرة متحدية قليلاً كأنها تتوعد المصور بالتويل ، ومن خلفها يبدو جبل تغطي سفحه الأشجار وكوخ ريفي أوروبي الطابع .. نعم .. لا شك في أنها فتاة أجنبية ..

قلبت الصورة فوجدت كتابة بحروف لاتينية ما ، وبذلك



الخط العائل المتشابه الأنيق مستحيل القراءة الذي يوقع به الغربيون .. كانت على الأقل تعرف كلمة Love وقد أجهدت عينيها بحثاً عنها فلم تحدها لحسن الحظ .. لكن من أراها أن هذه القملة إنجليزية ؟ ربما كانت فرنسية أو ألمانية ؟

### ألمانية !!

زوجها كان في تلك البعثة إلى ( النمسا ) منذ عامين . هي لا تعرف أين توجد النمسا لكنها في ذهنها تختلط بألمانيا بشكل ما .. الأمور واضحة إذن . هذه الفتاة قد عرفها حينما كان في النمسا . ولم يذكر عنها حرفاً . أما لماذا يحتفظ المرء بصورة بهذا الحجم لفتاة لا تغيبه في شيء فأمر لا يعلمه إلا الله ..

راحت تنظر إلى صورة الفتاة مدققة ، وفي كل لحظة تشعر بأنها تعرقها أكثر فأكثر ..

وفي النهاية أعادت كل شيء إلى مكانه وغادرت العرفة . وكان ذهنها يعمل في حماس . وقررت أن تسأله عنها عندما يعود . الهجوم المباشر خير وسيلة لأن هذا سيفقده القدرة على التأليف . سوف يرتبك ثم يقول كل شيء ..

نظرت لصورته المعلقة في الصالة وقالت بصوت خافت :  
- « ما الذي رأيته فيك ؟ صدقتي .. لن تجد امرأة أخرى في العالم تراك جميلاً سوى . لن تجد امرأة تقبل طباعك الغربية المملة سوى .. أنا لا أعرف عنها حرفاً لكني أعرف أنها غير صادقة .. أية امرأة تزعم أنها معجبة بك هي كاذبة .. كاذبة يا صاحبي ! »

وفتحت جهاز التلفزيون وراحت تتابع فيلمًا عربيًا يحكي عن الخيانة الزوجية .. كان هذا يناسب أفكارها بشدة .







- « لا يهتمنى إن كنت أسأل الشيطان ذاته . المهم أننى أطلب رأيك .. »

ثم ناولتنى مجموعة من الصور الفوتوغرافية كبيرة الحجم .. وعقد أصابعه تحت ذقنه ينتظر رأيي

رأيت فى الصور جثة رجل . طريقة التصوير والزوايا المتعددة توحى بأنها صور التقطها خبراء المختبر الجنائى فى مكان حادث ما . لم أستطع تحديد كيفية موت الرجل لأن بقعة سوداء كبيرة كانت تحلّ موضع صدره . سوداء تعنى حمراء طبعا لأن الصور بالأبيض والأسود .

عامّة كانت ملامح الرجل أقرب إلى الرقى . وثيابه توحى بأنه من الطبقة الوسطى أو أعلى قليلاً . وعلى الأرض كانت بقعة من الدم . بقعة غريبة الشكل فعلاً ..

على أنسى فهمت الأمر أكثر فى لقطات مقربة . إن كلمة قد كتبت بهذه البقعة وبوضوح شديد :

( زكى ) ..

كان هذا كل شيء ..

أعدت له الصور ورفعت حاجبى بمعنى التساؤل لكنه سألنى بدوره وهو يشعل نفاثة تبغ :

- « رأيك ؟ »

قلت وأنا أفكر بحثاً عن مقرب ما أعده لى :

- « لو كان للقتل يدعى ( زكى ) لكنت القصة واضحة .. »

نفث سحابة كثيفة من الدخان فى هواء الغرفة وسألنى :

- « والاحتمالات الأخرى ؟ »

- « من الممكن أن يكون القتل ذاته هو ( زكى ) . »

اهتمم وقال فى تهكم :

- « لا . اسمه ( يوسف ) . أبو الحسن ) .. وهو

مدرس بكلية الآداب جامعة ( .... ) . »

قلت وأنا أعيد التفكير :

- « إذن الاحتمال الوحيد هو أن هذا اسم القاتل كما كتبه

القتيل . إن هذا المشهد خالد فى الألفاظ البوليسية .. وغالباً

ما يتضح أن البوليس يقرأ الاسم بشكل خطأ . حرف M

يتضح أنه حرف W .. وبعد ما يكونون قد أرهقوا

( مارتن ) الياس طيلة القصة ، يتضح أن ( ونستون ) هو

القاتل .. »



أعاد لي الصور وقال :

- « ألا يوجد ما يعارض هذه الفكرة ؟ »

تأملت الصور في عناية فلم أر ما يمنع .. قلت له بصراحة أنه ( قد غلب حمارى ) .. فقال :

- « لم تكن أتأمل الثقيل ملوثة بالدم . راحتاه واضحتان في الصور . لو كتب اسم قاتله لوجدت الدم على أنامله .. ثم لاحظ الخط كذلك .. »

وأشار بمن قلته إلى الصورة التى تظهر الكلمة وقال :

- « خط جميل جداً . لا أتخيل أن شخصاً يلفظ أنفاسه الأخيرة سيرا على قواعد الخط ويكتب الاسم بهذا الوضوح . دعك من أن وضع الجثة يجعل من المستحيل أن يعدل ليكتب الكلمة في هذا الموضع بالذات . »

قلت في خيظ :

- « يا سلام ! يا أخى زحف حتى كتبها ثم انقلب على ظهره ومات . إن المعتضرين يدلون وضعهم أحياناً .. »

كان قد فكر في كل شيء وهذا طبيعى .. ما يشير غيظي هو أنه يتوقع أن أصل لمدى التقدم في الاستنتاج الذى بلغه

هو نفسه وهو خطأ يكرره للبشر كثيراً . تجهد نفسك أياماً في قضية ما ثم تتبادل الراى مع شخص يسمع عنها لأول مرة ، فيشير ذهولك بغفلة وبطء تفكيره .. كل افتراحاته قديمة غير مبتكرة .. وهذا نموذج آخر لظلم الإنسان وافتقاره للحل ..

قال في ثقة :

- « ما كان ليقدر على تبديل وضعه لأنه مات على الفور .. لم توجد فترة احتضار كافية .. »

- « والمصيب ؟ »

تصمت عناء في دهشة وقال :

- « كيف تسأل عن هذا وأنت طبيب ؟ لقد انتزع قلبه من صدره ! حسبتك لاحظت هذا ! »

\*\*\*

قلت له ونحن نتناول الغداء في ذلك المطعم على الكورنيش :

- « لم أر جريمة بهذه البشاعة .. لحسن الحظ أنني لم أرها راى العين .. أشياء كهذه تسمع عنها في قصص الحروب الهمجية القديمة فقط .. »



هز رأسه موافقاً وأرفف :

- « ولا أنا وحياتك الأمر يوحى بالكرهية . الكثير منها ليس التمثيل بالحدث بهذه الطريقة من سمات الشخصية المصرية عموماً . حتى القتل والسفاحين يتحركون تحت سقف لا يجسرون على تجاوزه . لهذا شعرت أن في الأمر ما يتجاوز القواعد المعروفة لنا ورأيت أن أسألك .. »

ثم نظر إلى طريق الكورنيش خارج واجهة المطعم الباتورامية وسألني :

- « إذن أنت ترى معنى أن المقتول لم يفعلها . فماذا عن القاتل ؟ »

قلت في ثقة :

- « أنت لم تترك مخرجاً آخر لقد فعلها القاتل . »

وتذكرت جريمة مقتل (شارون تيت Sharon Tate) ممثلة (هوليوود) الحساء . كانت جريمة ساحنة في ذلك العصر . القصة غريبة وأقرب إلى مسرح العبث . هناك مخبول يدعى (مانسون Manson) الذي اشتهر باسم

(زعيم الهيبز) قام مع أتباعه بمهاجمة بيت الممثلة .. وكانت مذبحة لها وضيوفها وابنها الذي كانت تحمله في بطنها بعد ، وقد نجا زوجها المخرج العالمي (رومان بولانسكى Polanski) من المذبحة بمعجزة ، لكنه تحول إلى عبقرى مخبول بعدها .. لقد وجد البوليس المذبحة ووجد كلمات مكتوبة بالدم على جدران البيت (الخنازير .. الخنازير) .. فيما بعد اتضح أن الأخ (مانسون) كان يملك نظرية عبقرية .. سوف يرتكب المذبحة فيلصق رجال الشرطة التهمة بالزنوج . يثور الزنوج ويقضون على البيض .. هكذا يصير الطريق مفتوحاً أمامه للسيطرة على أمريكا فالعالم ! لا تعجب فعقار الهلوسة LSD قادر على هذا وأكثر ..

أفقت على صوت (عادل) يسألني :

- « حسن . وماذا يجنيه القاتل من كتابة اسم

(زكى) ؟ »

فكرت في رد مستفز يثير غيظه فلم أجد أفضل من

الغالى :

- « التفسير الوحيد هو أن القاتل يدعى (زكى) ! »

- « أنت عبقرى ! »



« لقد كان فخوراً بما قام به لذا وقع على عمله باسمه .. كل فنان أصيل يشعر بهذه الرغبة بمجرد أن ينتهي من لوحته الفنية ! »

راح ينظر لى طويلاً ولم يعطى ..

اعتقد أن الفكرة برغم كل شيء بدأت تروى له ..

### - ٣ -

عندما تدخل مقر الجريدة سوف يثير ذهولك الجو العام الموحى بالفقر والبؤس ..

أنت تسمع عن تلك الجريدة من أن لآخر وترى أعدادها فى كل مكان .. بالطبع أنت لا تتوقع أن يكون مقرها شبيهاً بمبنى الأهرام أو الأخبار ، لكنك كذلك لا تتوقع أن يكون تلك المسقة البائسة بالطابق الثالث من تلك البناية المتداعية ..

سوف تجتاز المدخل محاولاً ألا تتعثر بصندوقى القمامة هذين ، ومحاولاً ألا يظفر هذا القفط بطرف سروالك ترى تلك الأسهم على الجدار وهى الأشياء الوحيدة الذى يفتنك بأنك لست لحمى ..

تصعد طابقين .. رائحة العفن تتزايد . الطابق الثالث .. وهذه اللابطة على الباب ..

ثمة سكرتيرة شاحبة تدس قدميها فى خفين منزليين ، وأمامها رغيقان تعلوهما ثلاثة أو أربعة أقراص من الطعمية .. ثمة كيس بلاستيكي صغير به المخللات اللزجة .. والفتاة تتضور جوعاً . من الصباح هى تتضور

جوعاً لهذا لا ترحب بك على الإطلاق .. إنها تنتظر اللحظة التي يكف فيها الزوار عن التوافد لتفتك بالرغيفين .. ثم تتبعهم بكوب من الشاي الأسود ، وبهذا تكتشف أن الحياة رائعة وأن هذا أفضل العوالم الممكنة .

أمامها يحلس عم ( فهميم ) الفراش الممسن .. إنه دائماً يشعر بالملل ويستنز أية فرصة ليفقو وهو الآخر بانتظار رحيلك بفارغ الصبر ..

هل تشم هذا المزيج الغريب من رائحة حبر الآلة للكتابة والشاي على ( السبرتية ) والعطن المتصاعد من دورة المياه ؟ نعم ليست هي ( النيويورك تايمز ) لكنها صحيفة على كل حال ، ولها قراؤها الذين هم مثلك لا يتصورون أن يكون هذا هو المكان بالمناسبة لا تجازف أبداً بدخول دورة المياه لا تسأل عن السبب لكن حمقى كثيرين فعلوها وهم الآن في المصحات يعالجون من الصدمة النفسية ..

صوت آلة كتابة في مكان ما .. وصوت من يضحك بصوت عال .. وصوت مذياع مفتوح ..

تسأل عن الأستاذ ( فايز ) . لماذا تسأل عنه ؟ لأنه هو الشخص الذي يهيك هنا وهو صحفي شاب متحمس .. يعتقد

أنه جاء العالم ليغير كل ما فيه من فساد ، وليوقف كل شخص عند حده أخيراً ..

الأستاذ ( فايز ) ليس هنا .. إنه في مكان ما .. هو لم يظهر منذ ثلاثة أيام لكن هذا معتاد هنا وفي هذه المهنة ..

( فايز ) في الرابعة والعشرين .. غير متزوج .. غير حبيب الذن .. غير مهندم .. أعتقد أنه لا ينال إلا بضعة ملائيم ، ولكنه من الطراز المتفائل .. ليست له أسرة في القاهرة لكنه يقيم في ( لوكاتدة ) ما من لوكاتدات الحسنيين .. لهذا لا يستعمل إلا قميصاً واحداً وجورباً واحداً وحذاء واحداً .. وهو ظريف حاضر الدعابة لا يتورع عن استعمال لفظة عزل عابرة من حين لآخر لهذا هو أكثر شخص هنا يروق للسكرتيرة الشاحبة ..

في الفترة الأخيرة كان ( فايز ) متحمساً .. أغنى أكثر من اللازم .. يبدو أنه وضع يده على موضوع مهم .. وكان مشغولاً أكثر الوقت ..

ثم قام بمعجزة لم يرها أحد من قبل .. لقد أغلق درج مكتبه وابتاع ( رزة ) وقفلاً وبصبر قام بتثبيتهما .. كان الدرج مفتوحاً طيلة الوقت كقلب صديق .. لا ترى فيه إلا علة



تبغ فارغة مهشمة وجريدة عمرها عامان . لكنه اليوم حرص على إعلال الدرج . وقد قال له زميله (سامح) :  
« يبدو أنك كونت ثروة أخيراً .. لقد صار لديك ما تخفيه .. »

قال (فايز) في ثقة :

« محسوبك ليس لديه ما يخفيه إلا الأفكار الأصيلة .. »

ولم يكن (سامح) يقوم بعمل ذي بال منذ فترة . لم تكن لديه أفكار ولم يكنه أحد بشيء . لهذا راح يمارس العمل الوحيد الذي يحيد حفا : شراء الإعلانات .. كان يحمل كارتنيه الصحفية ويخرج منذ الصباح الباكر ليدور على الشركات والمحلات يعرض بضاعته ..

أحياناً يعود بحمل ثمين وفي الغالب لا يعود بشيء على الإطلاق ..

لهذا كان الفضول يعصره ليعرف ما يدور بذهن (فايز) ..

كان يعرف أنهما متشابهان في الظروف والموهبة والوضع المادي . ومعنى هذا أن أحدهما يصلح بديلاً للآخر .. وفي

الفترة الأخيرة بدأ سكرتير التحرير غير راض عن العمالة الزائدة في الجريدة .. فلو جرى ترجيح الكفتين لن يحتاج للمرء إلى عراف كي يحدد اسم من يتم الاستغناء عنه .

لو لم يحقق شيئاً غير التهام الشطائر وشرب الشاي في هذا الشهر فمن الوارد أن يجد نفسه في الشارع قريباً . وهو شيء يقلقه برغم أنه لم يتقاض نقوداً حقيقية منذ شهرين .. على الأقل كان له مكان يذهب إليه في الصباح ويعود منه منهكاً في المساء ..

منذ عدة أيام لم يعد (فايز) وهذا شيء يحدث كثيراً . لكنه يعود في كل مرة مثقلاً بالأخبار أو التحقيقات الجديدة . وعندها يعود اسمه للظهور في الجريدة وربما صورته أيضاً ..

وجدت اللحظة المناسبة عصر ذلك اليوم . لقد خلت الغرفة التي تضم خمسة أو ستة من الصحفيين . إنه ذلك الجو الخامل بعد الغداء . دعك من أن ثلاثة منهم يصلون جماعة في العمر الخارجي و (سامح) لم يكن من المصلين ، لهذا انتظر حتى سمع صوت التكبير وعرف أن العمر مسدود الآن . لا أحد يستطيع مغادرة الغرفة أو الدخول لها .

هكذا تناول دهبوس الشعر التمسلي من جيده .. فكل من  
للناس من يعرف كيف يفتح قفلاً بدبوس شعر أنشوى لكنه  
يعرف هذا ويعرف أشياء كثيرة أخرى .. لن يؤنبه ضميره  
لأنه هكذا يعتقد سيكتفى بإلقاء نظرة فضولية .

« الله أكبر »

بسرعة يدس الدبوس في القفل الذي يخلق الدرج ..  
وداح بعث هنا وهناك ..

« سمع الله لمن حمد »

صوت (كليك) المميز . لقد استجاب للقفل الصغير ..  
إن (فايز) أحس إذا حسب أن هذا القفل يحمي أسرار  
حقاً ..

« الله أكبر »

انفتح الدرج أخيراً .. الآن يرى بوضوح أن هناك  
مجموعة من الصحف المطوية لا وقت للبحث فيها .. ماذا  
يوجد تحتها ؟ يوجد مظروف كبير .. فلنر ما به .

« الله أكبر »

المظروف به أوراق كثيرة .. أوراق عتيقة في الواقع .

حوالي مائة ورقة يبدو أنه تم نسخها زكوغرافياً ( لم يكن  
تصوير للمستندات شائعاً وقتها ) .. ولكن هذه الكتابة ؟ إنه  
يعرف هذه الحروف .. إنها العبرية ولا شك في هذا .. ولكن  
ما معنى هذا ؟

كانت البلاد في حالة حرب .. وللحروف العبرية ذات  
الإيحاء المقبض المقلز الذي تشيره إليك أرجل العنكبوت  
للمشعة .. (فايز) لا يجيد العبرية وعمله لا يتعلق بها بأي  
شكل كان .. فما معنى أن تجد أوراقاً عبرية في درجه  
المغلق ؟

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

لا وقت للمزيد من الاستنتاجات .. سوف يصلون في أي  
وقت .. لكن يجب أن تحتفظ بهامش عريض من الشك ..  
هناك جواسيس في هذا العالم .. والجاسوس قد يكون أخاك  
أو جارك ..

أو صديقك في العمل !

أغلق الدرج بسرعة ويده ترتجف وضغط القفل ليفلقه ..

« السلام عليكم ورحمة الله »

ما الذي يقوم به (فايز) بالضغط ؟



عندما تأتي الثالثة صباحاً لا يعود بوسعك الاستيقاظ أكثر من هذا ..

كان ( بيسيوني ) يعرف هذا عن نفسه ويقبله كحقيقة لا مفر منها ..

صحيح أنه يبدأ المسهرة بإشعال ( الراكية ) وإعداد الشاي ، وصحيح أنه يفرغ ثلاثة أو أربعة أكواب من الشاي الأسود الثقيل في جوفه ويفتح المذياع ، ثم يخرج ( الجوزة ) ويدخن حجرين على الأقل . ( إلا أنه يعرف تلك الخدر النديز المتسلل إلى جفنيه . ثم يصير وزن الجفن عدة أطنان ..

الحقيقة أنه لم يكن متفرغاً لهذه المهنة ، وكان يقضى الوقت صباحاً في حقله لهذا كانت قدرته على السهر تقتضي تماماً عندما تمر ساعتان بعد منتصف الليل ..

على أنه لم يكن يفتق كثيراً . إنه لم يصادف طيلة عمله خفيراً في ( شونة ) الفلال هذه لصاً واحداً . عشرة أعوام ونم ير لصاً واحداً ، حتى أنه كون نظريته الخاصة عن العالم . العالم مكان آمن تماماً والحوادث لا تقع أبداً

إن ( بيسيوني ) في الخمسين من عمره ، ولكنه يبدو في الستين .. وله عبارة واحدة لا يكف عن ترديدها : نحن نشقى في هذه المهنة و حان الوقت كي نستريح .

الخطر الوحيد المحتمل هو تلك الكلاب المسعورة التي تحوم حول ( الشونة ) ليلاً ومن عيونها يتصاعد الشرر لكنه كان يكتفى بقذفها بحجر أو حجرين .. دعك من الجان طبعاً فهذا شيء متوقع ومقبول .. عندما يمر به هؤلاء الناس طوال القامة ذوي العيون المشقوقة طولياً ، وأقدامهم ذات الحوافر تدق الأرض دقاً ، كان يستعيز بالله من الشيطان الرجيم .. وكان هذا يكفي لرحيلهم غالباً . بعض القطط لم تكن مريحة جداً وكان يعرف أنها أرواح متكررة ، لكن كان يصلح معها ذات أسلوب التعامل مع الجان .

هكذا كان يمضي الساعات ملتفاً بمعطفه الصوفى الثقيل ، والتلفيفة تحيط بعنقه لتعزله عن العالم عزلاً . وكان يهتف في النار بطرف عصا ويصفى لصوت الاحتراق . ثم في الثالثة صباحاً يغيب عن الوعي تماماً . فقط ليصحو مع صوء الشمس الدافئ المعطمن يخبره أن ليلة أخرى قد مرت .

هكذا يعد لنفسه كوباً أخيراً من الشاي وينتظر حتى يصل الرجال ، وتضج الشونة بالحركة .. ثم يمشى الهوينى عائداً

إلى دأره حيث تكون ( لم محمود ) قد أعدت له الإخطار .. سوف  
يطفر بساعتين أخريين من النوم ثم ينهض ليضئ بحقله ..

الليلة يضئ به البرد .. إن عظامه لم تعد تتحمله على  
الإطلاق ، وهى ذى مناشير الروماتزم ( المراتزم كما  
يسميه ) تعمل عملها فى عظامه . لهذا أحكم الغطاء من  
حوله ومد ساقيه نحو النار .. إن ( الكلسون ) للصوفى لم  
بعد يزدى عمله جيذاً ..

يسمع الآن صوت ذلك الكلب يعوى فى مكان ما فيجابه  
كلب آخر يعوى من موضع آخر . فى الليل يكون عواء  
هذه الوحوش مروغاً كأنها أسود تتصارع .

ثم ظهر ذلك الكلب الأسود الضخم يجرى وسط الشونة ..  
يقترب منه وهو يزوم مد يده والنقطة حجراً وأحكم  
التصويب ثم قدفه على الكلب وأطلق سبة بذينة ..

لم يمس الحجر الكلب لكنه أطلق ساقيه للريح مبتعداً ..

ثم بدأ ( بسيونى ) يفهم سبب حماس الكلب .. الكلب لم  
يكن يهاجمه بل كان يركض خلف رجل يركض . هذه هى  
غريزة الكلاب الدائمة .. هذا الرجل يركض داخل الشونة  
وبالطبع يغلفه الظلام فلا تعرف ما يطارده بالضبط ..

لقد داعب النوم عينى ( بسيونى ) لحظة فلم ير هذا  
الرجل يدخل ..

نهض ومد يده يحمل البندقية العتيقة التى لا يعرف إن  
كانت تعمل أم لا .. وراح يجد الأثر نحو ذلك الرجل الذى  
دأر حول المخزن ..

أراد أن يصرخ بشيء مما يقول الخفراء على غرار  
( مين هناك ) أو شيء من هذا القبيل ، لكن النوم كان يغلبه  
أولاً ، ثم إنه لم يعد هذه المواقف .. لهذا فصل أن يتم  
المطاردة فى صمت ..

شى طريقه بين زكائب الغلال .. وهو يحاول ألا يتعثر ..  
قلبه يتوثب بين ضلوعه من فرط الإثارة .

أخيراً دنا من المخزن .. إن باباً فى الجهة الأخرى لهذا  
رجح أن الرجل دخله .. ستكون هذه مشكلة لأن الزكائب  
الكثيرة بالداخل سوف تجعل الاختفاء سهلاً . سوف ينتظره  
الرجل حتى يتعد عن الباب ثم يخرج منه .. دعك من  
الظلام بالداخل .. لن تقدر على رؤية يدك .

لهذا وقف جوار الباب لحظة وهو يلهث ويفكر فيما يجب  
عمله ..



! ج ج ج ج ت ت و و و و ش ش ش ش ش ش !!

ما هذا الصوت العجيب ؟ رجل يصرخ ؟ وهل من يصرخ  
يستعمل أى حرف غير الألف والهاء ؟ للحق أن الصوت  
جمد الدم فى عروقه ..

والآن وجد الصوت فصرخ بأعلى صوته .

— « من بالدخل ؟ »

لا رده .. فقط تردد الصوت ثانية :

! ج ج ج ج ت ت و و و و ش ش ش ش ش ش !!

هكذا توغل أكثر داخل المخزن وهو يشعر بأنه عجوز  
مريض ، وأن قلبه مرهق للغاية . كان فى جيبه عود ثقاب  
فأشعله وأقرب من مصدر الصوت أكثر ..

هناك دماغ ..

هناك رجل راقد على الأرض رجل يرتدى ثيابا غريبة ..  
( أفندى ) كما يحلو له أن يصفه . جوار الرجل كانت بركة  
من الدم انطازح واستطاع أن يرى كنمة خبطت على الأرض  
الترابية سوف تتسربها الرمال مريفا .. إبه يقرأ . ليس

ببراعة لكنه يفهم المطلوب على كل حال .. هكذا أقرب  
الثقاب من الأرضية فقرأ التالى :

( يوسف ) ..

نظر إلى وجه الرجل فى ضوء الذهب فاستطاع أن يرى  
أنه فارق الحياة .. لقد رأى موتى كثيرين ولم يعد يجد  
صعوبة فى معرفة الموت حينما يراه .. لم يتبين مصدر  
الجرح بسبب الإضاءة الخافتة لكنه يشعر بأن صدر الرجل  
عبارة عن بركة دم كبيرة . ولكن من فعلها ؟ لقد كان من  
رآه يجرى وحده .. فلو كان من يجرى هو القاتل فمتى دخل  
القتيل ؟ ولو كان من يجرى هو القتيل فأين القاتل ؟

انتابه الذعر عندما انطفأ العود .. فأشعل آخر بسرعة  
وركض إلى باب الشونة . لا يعرف ما الذى جعله يفعل هذا  
لكنه صوب البندقية فى الهواء وضغط على زنادها

يوم ١١

دوت الطلقة فى السكون ، فارتجف لها هو نفسه ..  
الوحش الذى نام أعواما لم يزل حيا . ولم يتصور قط أن  
صوته عال إلى هذا الحد ..

تعالى صوت نباح .. هذا كل شيء ..

سوف يترك الشونة الآن ويركض باحثاً عن عون .. لابد من إبلاغ الأمور . لكنه الآن يحتاج أولاً إلى أن ( يضبط دماغه ) بحذر من المصبل ليهدأ . هكذا جلس أمام النار وراح يعد الحوزة على عدل .. هذا آخر شيء أتصور أن يفعله .. لكنه فعله ..

الحقيقة أن ( بيسيوني ) يتمتع بأعصاب قوية لو أردت رأيي .

— ٥ —

عند منتصف الليل بدأت ( فاتن ) تشعر بالقلق ..

لم يعد ( زكى ) من القرية بعد ، وهو سائق حذر ولا يحب أبداً أن يعود في الظلام .. باختصار هو لا يرى جيداً في الظلام .. وهي تذكر يوم رآته يقود السيارة بثقة نحو ترعة على جانب الطريق . للظلام دامن واللون الأسود يغلف كل شيء . وهو يدير المقود إلى اليمين حاسباً هذه الظلمة امتداداً للطريق .. استغرقت ثانيتين حتى فهمت أنه سيقفلها فصرخت بأعلى صوتهما :

« هذا .. ليس .. احترس .. إنها ترعة ! »

لحسن الحظ أحدثت كلماتها رد فعل فأعاد المقود إلى اليسار في اللحظة الأخيرة ، ولو لم يفعل لغابت السيارة بهما وبالأولاد للناسمين في الماء ..

من لحظتها عرف وعرفت أنه لا يرى جيداً في الظلام .. نوع من ( العشى الليلي ) ربما .. لكنه تذكر الدرس جيداً وصار من ألد أعداء القيادة الليلية ..

لماذا تأخر حتى هذا الوقت ؟ لماذا لم يتصل بها ؟



لقد نسيت كل الأسئلة التي كانت مستوجهاً له . كل الاتهامات ذابت . لم يعد هناك إلا قلق عميق أصيل .. وحش القلق الجالس في صدرها فوق الحجاب الحاجز يمسك بقلبها ويمضغه في تلذذ ..

ظنت نجوب الشقة في قلق . تفتح التلفزيون ثم تغلقه .. تتسلى ببذور اللب قبل أن تلقيها في القمامة .. تفتح المذياع ثم تغلقه . دخلت غرفة نوم الأطفال لتتأمل الصغيرين النائمين . لا تراهما ملاكين إلا عندما ينامان .. فيما عدا هذا هم شيطانان رجيمان ، وقد خطر لها وهي تتأمل وجهيهما أنه من المستحيل أن يحدث شيء لـ ( زكى ) .. ما كانا لينامان بهذا السلام . ولكن . فجأة بدأت تشعر بالقلق يمزقها بل هي متأكدة من أن مكروها دهاء .

اتجهت إلى المرأة وراحت تتأمل وجهها المرهق في حقد .. وغصمت :

« هل فهمت يا حمقاء ؟ إن الله يعاقبك على إساءة الطن بالرحل سوف تحرمين منه ما دام لا يروق لك ' »

وشعرت برغبة في البكاء . وفي ذاتها يقين تام بأن هذا حدث وهي لا تعرف ما هذا الذي حدث بسبب دخولها غرفته والتفتيش في أوراقه ..

لو استطاعت أن تطير .. أن تعبر الأجواء حتى تصل للقرية لتطمئن عليه .. ثم استبد بها الغل .. قالت لنفسها : لو كان سليماً بعد هذا كله ، وسبب بقائه هو أن الوقت طال به ، فلم يعد راغباً في القيادة ليلاً .. لو اتضح هذا فلسوف تتصفه نفساً .. سيتمنى لو كان قد مات ..

تفتح التلفزيون فتري ممثلة مصنة تمسك بمنديل وتتكلم عن ( المرحوم زوجها ) باكية .. فيجن جنونها وتغلق التلفزيون من أين يأتون بهذه البرامج المقرزة ؟ إن التلفزيون يزداد ثقافة هذه الأيام ..

خرجت إلى الشرفة في الليل البارد وراحت تراقب السابلة والظلام وأضواء الشارع .. سوف ترى السيارة في أية لحظة تتوقف أمام البيت ويخرج منها ( زكى ) .. ثم يفتح الحقيبة الخلفية ليخرج الملة التي تحوى للبط والأرز المعمر والفطير الساخن .. هذه هي التقاليد .. لابد أن تحمله زوجة أخيه كل هذه الأشياء ..

لكن السيارة لم تظهر . وبدأ القلق يغمرها أكثر فأكثر . كيف يكون حالها عندما يؤذن الفجر ؟؟ سوف تسمعه وهي تضع الكسرولة على رأسها حتماً .. لأنها ستكون قد جنت .

في النهاية اتجهت إلى الهاتف .. طلبت أخا زوجها المقيم بالقاهرة .. ( شوكت ) ..

جاء صوته المنزعج من الطرف الآخر . ثم يصرخ في طفل أن يخفض صوت التلفزيون ..

- « ( زكى ) لم يعد من القرية حتى الآن يا ( شوكت ) . »

قال في بساطة :

- « حجة العائب معه .. لا تقف .. لعنه أراد المبيت عند

عمى ( عبد الواحد ) .. »

- « لم يفعلها قط .. ولو فكر أن يفعلها لاتصل بي .. »

المشكلة هي أن هناك جهاز هاتف واحد فقط في القرية كلها . لهذا فالإتصال بها ( عملية ) .. فعلاً عملية كبرى . لا تنس أننا نتكلم عن أوائل السبعينات ..

بعد نصف ساعة اتصل أخوه فردت في لهفة :

- « هيه ؟ هل وجدته ؟ »

وفي اللحظة ذاتها كان هو يسأل :

- « هيه ؟ ألم يعد بعد ؟ »

هكذا خاب أملها من جديد وتوترت أكثر .. قال لها وهو يحاول أن يبدو هادئاً :

- « الحقيقة أنني حائر .. عمى ( عبد الواحد ) يقول إنه فارقه في الرابعة عصرًا .. هذا يعني أنه في الطريق .. »

- « طريق ؟ القرية على بعد ساعة إلا الربع لو كانت سيارتك حطامًا .. »

- « إن الرجال يرجعون على أصدقائهم أو يجلسون في المقهى .. هذه أشياء تحدث .. »

- « إلا زوجي . أنت تعرف أنه يفارق البيت كأنه يفارق روحه . ويعود إليه في أسرع وقت ممكن .. ليس هذا لحاذيئتي الشديدة ولكن بسبب ارتباطه الشديد بغرفة مكتبه وأوراقه . إن أية دقيقة يمضيها بعيداً عن مكتبه هي دقيقة ضاعت من عمره .. »

فكر قليلاً وسبب أحد الأطفال الذين يأبون النوم .. ثم قال لها :

- « في الحقيقة أريد أن أريحك لكني قلق مثلك . لا يوجد ما نفعله الليلة . مستحيل أن أذهب للقرية للبحث عنه .. الصباح رياح والنهار له عينان .. »



قالت بصوت منهج :

- « لكنى ساجن لو انتظرت حتى الصباح . »

- « لا أعرف ما أقول لك . لربما طرق الباب الآن . »

شعرت بالامل ينتهش في صدرها كأنما كلماته سحرية  
ستحمل زوجها بطرق الباب فعلاً ووضعته السماعة في  
رضا .

ثم تعرف أنها نامت . لم تعرف أنها غابت عن الوعي  
وهي جالسة في الصلاة ..

في المنام رأت أنها في غرفة النوم كان الفراش محتلاً  
لكن ليس بجسد روحها .. كان هناك كائن مخيف عملاق ..  
كائن أسود اللون يبدو أقرب إلى تمساح كبير يرقد وقد تعطي  
بالأعطية . وكان طويلاً إلى حد أن ذيله كان يتدلى على  
الأرض . تذكر أنها وقفت إلى جواره ومن الغريب أنها لم  
تكن خائفة . فقط كانت تشعر بالحرج لأنها تريد أن تنام  
ولا تعرف كيف تخبره بكياسة بأن ينهض ليوسع لها مكاناً ..

دنت منه أكثر فوجدت لرعها أن عينيه غير معلقتين .  
عين التمساح الكبيرتان الزجاجيتان تنظران لها .. هنا فقط

قررت أن الوقت غير مناسب لهذا الطلب وقررت أن تفر من  
الغرفة .. في هذه اللحظة دوى صوت جرس الباب فشعرت  
بالتوتر والقلق . لا تعرف معنى ذلك لكنها كانت تريد الفرار  
بسرعة من صوت الجرس ومن الكيان المخيف الراقد ..

هنا فتحت عينيها فأدركت أن الفجر قد تسلسل للمكان ..  
أين زوجها ؟ لم يعد بعد ..

وأدركت كذلك أن جرس الباب يدق بلا انقطاع .. إنها  
أحلام المنبه التي تدخل فيها المؤثرات الخارجية عالم  
الحلم . بل يتم تلفيق الحلم بالكامل ليناسب هذه المؤثرات .

نهضت فترنحت لفترة لأن ضغط دمها انخفض بسبب  
الوقعة المفجعة ثم ثابت إلى رشدها ..

ركضت إلى الباب تفتحه وقد أنساها النعاس واجب  
الحذر ، فلم تسأل من .. وراة أن الردهة مظلمة تماماً  
فامتدت يدها في عصبية إلى مفتاح النور

وفي الضوء الخافت استطاعت أن ترى أن القادمين  
ضابطا شرطة ..

وكان يبدو عليهما الارتباك ..

جف حلقى وتراجعت خطوة .. إنها النهاية إذن .. سادفج  
ثمن كل جرأتمى .. لكن ما الذى فعلته بالضبط ؟

قال أحدهم باسمًا :

« لا داعى للقلق .. إنها استشارة لا أكثر .. »

استشارة فى هذه الساعة ؟

قال آخر وهو يخرج لفافة تبغ من علبتها :

« الأمر جد مهم .. وقد اتصل السيد ( عادل ) من

الإسكندرية وأصر على أن تكون معنا .. »

هكذا فهمت .. إن ( عادل ) مصر على توريطى .. لكن  
فى أى شىء بالضبط ؟ لابد أن الأمر يتعلق بهذه القصة ..  
قصة الحروف التى تكتب جوار جثث الموتى ، والتى أرجح  
أن القتل هو كاتبها ..

هكذا تأهبت للذهاب معهم ثم تذكرت أننى عارى القدمين  
وما زلت بمنامتى .. هكذا طلبت منهم أن يتفضلوا إلى أن  
أبدل ثوبى ..

وارتديت ثيابى كما اتفق ولنا أفكر فى مبرر هذه  
الاستشارة الليلية .. كل شىء يمكن أن يتم فى الصباح .

أنا أيضًا جربت صوت جرس الباب بعد منتصف الليل ..

خبرتنى وخبرة أى إنسان مع هذه الأجراس سوداء  
غالبًا لهذا يجب أن أقول إننى جريت إلى الباب وقلبتى  
بتواثب فى صلوعى . ثم أكن نائمًا لحسن الحظ .. مستحيل  
أن أكون نائمًا فى الثانية صباحًا .. هذا شىء لا أفهمه عن  
الناس . إنهم ينامون ليلاً ويستيقظون صباحًا .. أنا أسهر  
ليلاً وأعمل نهارًا وأنام عصرًا ..

أصابت النور على المدخل ، وقدرت أننى سأفتح الباب لأجد  
ثلاثة من رجال الأمن ينظرون لى نظرة بوليسية خالصة ،  
ثم يقول لى أحدهم إنه العقيد ( أيمن حمدى ) وإن معهم إذنًا  
بالفتيش . ثم يدخل أحدهم إلى غرفة مكتبى ليخرج  
الميكروفيلم أو المنشورات التى لا أعرف أنها عندي ، ثم  
ينظر لى فى حزم ويقول : نريدك عندنا يا دكتور بعض الوقت ..

فتحت الباب وأنا أرتجف لهذا الخاطر . فوجدت ثلاثة من  
رجال الأمن ينظرون لى نظرة بوليسية خالصة ، ثم قال لى  
أحدهم إنه العقيد ( أيمن حمدى ) وأضاف :

« نريدك عندنا يا دكتور بعض الوقت !! »



دعك من أن تكون هذه وسيلة لاعتقالي فعلاً .. وهذا يعيدني إلى حالة البارانونيا البوليسية السابقة . سوف يقبضون على لاسي طفل شقي أضغ إصبعي في أنفي وأجنب ذيل الفط ..

خرجت معهم إلى هواء الليل البارد . الحى النائم الغافل فلا شيء يحذب الانتباه إلا تلك السيارة المدنية السوداء الواقعة أمام باب البناية . فتجلى أحدهم الباب الخفي فجلست وسرعان ما انطلقت السيارة . ذلك الطريق الذى عرفته مراراً من قبل . إنهم متجهون إلى مديرية الأمن .

\*\*\*

كان دكان التبغ يعمى الأبصار فى غرفة اللواء ( طبع ) وهناك عدة أقذاح من القهوة وجو عام من الانفلات يوحى بأن جلسة طويلة تمت فى هذا المكان

قال لى اللواء وهو يتعاب :

« إنى ليس لديك ما تضيفه يا دكتور »

قلت فى خجل :

« إذا كان القصيد ( عدل ) يعتقد أن لدى ما أضيفه فهذا

شأنه .. لكنى لم أزعم ذات يوم أننى خبير جريمة .. وفيما أرى فإن هذه الجرائم مجرد جرائم .. أى أنها لا تخرج تحت أية خاتمة خوارقية . لكن لو أردت رأيى فهذا قل طقسى Ritual يوحى بالانتماء لجماعة دينية ما .. إن انتزاع القلب بالتأكيد نوع من الطقوس .. »

قال وهو يطفى لفافة تبغ ويسعل :

« دخنت كثيراً جداً . كح كح . ! جماعة دينية ما ؟ ليست مصر خليطاً من الأديان يا دكتور .. ليس لدينا إلا المسلمون والمسيحيون وجماعات نادرة مسالمة كالبهايين . لم يعد هناك يهود .. ليس لدينا يزيديون أو قراءون أو عبدة شمس أو عبدة ( آمون ) .. »

« لا أتكلم عن جماعة دينية معينة .. أتكلم عن جماعة تعتقد أنها تخدم الدين بذلك .. باختصار أتحدث عن مخابيل »

فكر قليلاً ثم نهض إلى مجموعة الصور المعلقة على الجدار . صور التقطها خبراء الطب الشرعى وتظهر تلك المجموعة من الجثث .. وكنت قد حفظتها من فرط ما عرضوها على ..

قال كأنما هو يكنم نفسه بصوت عال :

- «مخابيل . نعم . لا أحد ينتزع قلب ضحيته إلا إذا كان مذبولاً . وفي كل مرة يكتب كلمة جوارها .. أنت تؤمن أن القتل هو من كتب هذا ..»

قلت في ضيق :

- « هذا واضح . لا يمكن أن يتصلاصق أن كل ضحية تقرر كتابة اسم قاتلها في كل مرة .. ثم إن وضوح الحروف واتجاه الكتابة يوحي بيد مختلفة صافية المزاج .. دعك من أن أأمل الضحايا كلها غير ملوثة بالدم ..»

كان هذا ما قاله لي ( عادل ) وقد تبينته بشدة إلى درجة أنه صار رأيي الخاص . وسوف أحطم أنف من يجادل فيه ..

عاد يكرر ما قلت شارداً الذهن :

- « هم م .. خير ملوثة بالدم ..»

قلت :

- « أي أن أيا من القتلى لم يكتب ..»

تناهب وقال في شرود :

- « هم م . لم يكتب ..»

قلت لنفسي إن النعاس قد غلبه على الأرجح ما دلم يكرر كل حرف قلته .. على كل حال لا أتوقع من البشر أن يكونوا مثلي في ذروة نشاطهم العقلي في الرابعة صباحاً . لكن الأمر خطير .. جد خطير .. عندما يقرر لواء أن يسهر ليلته في مديرية الأمن فلا بد أن الأمر خطير ..

قال وهو يخط أشياء على ورقة :

- « حسن .. دعنا نرتب الأمور .. لدينا سلسلة من حوادث القتل يجمع بينها أنها تتم بانتزاع القلب من الصدر .. وأن هناك كلمة بالدم جوار القتل ..

أول الضحايا وجدها في زقاق .. إن اسمه ( مصطفى أبو زينة ) .. باحث في التاريخ في جامعة ( .. ) .. الاسم الذي وجدها جواره هو ( عباس ) .. ثمة جثة أخرى وجدهاها بقربه .. جثة يقال عجوز يدعى ( جلال ) .. يقول التشريح إن البقال توفي بنوبة قلبية .. يبدو أنه لم يتحمل الصدمة .. وهذا يجعلنا قادرين على استيعاده من القصة مؤقتاً ..»

تذكرت وجه عم ( جلال ) الطيب .. هذا الرجل بالذات كان يستحق ميتة أخرى .. لم أخبر أحداً بأنني كنت أعرفه لكن موته سبب لي غصة لا بأس بها ..



واللواء يواصل التسرد :

- « ثانی الضحايا وجدناه في الإسكندرية .. اسمه (( يوسف ) أبو الحسن ) . مدرس شاب في كلية الآداب . الاسم الذي وجدوه بجواره هو ( زكى ) .

« ثالث الضحايا وجدوه في قرية قرب القاهرة .. ثمة شونة حبوب هناك ، وقد رآه الحفير يركض ليتوارى في المخزن فلما لحق به وجدته ميتاً برغم أنه ينبغي بشدة أن يكون قد رأى من يلحق به .. القتيل يدعى ( زكى عهد الرازقي ) أستاذ بكلية الآداب قسم تاريخ .. الاسم الذي وجدناه بجواره هو (( يوسف ) .. »

« ما الذي نستنتجه من هذا ؟ »

قلت وأنا أتتابع :

- « إنها دائرة كل قتيل تجد بجواره اسم القتيل القادم هذا هو أسلوب ( الكونت دي مونت كريستو ) . وعلى الأرجح يتعلق الأمر بالانتقام »

قال في ضيق :

- « كما قلت لك قد درمنا هذا الاقتراح مراراً .. لقد قتل

( زكى ) بعد (( يوسف ) .. ) وبرغم هذا وجدنا الاسم بجواره .. ثم إننا لم نلق أي قتيل اسمه ( عباس ) . لاحظ أن أول اسم قرأناه كان ( عباس ) .. »

قلت :

- « لهذا قلت ( دائرة ) .. لا يجب أن تقرأ اسم قتيل ( قائم ) .. يكفي أن تقرأ اسم قتيل ( آخر ) . سوف تتغلق الدائرة بشكل ما .. »

ثم عثقت أنملنى وقلت مفكراً :

- « ثم هناك ذلك الطابع الأكاديمي المميز للضحايا .. كلهم يدرس أو يبحث .. اثنان لهما علاقة بكلية الآداب والثالث باحث .. هناك كذلك ذلك التخصص في التاريخ . لو كنت مكتمل ليبحث بعناية عن شخص يدرس التاريخ في الجامعة واسمه ( عباس ) .. أعتقد أنه الضحية القادمة بلا تردد .. »

نظر إلى أحد معاونيه فبادله ابتسامة من طراز ( هؤلاء للهواة يضحكوننى ) وقال :

- « هل تحسبنا لم نفعل ؟ هناك اثنان نتابعهما بعناية .. وفي رأينا أنهما في خطر داهم .. أحدهما على الأقل .. »

قلت وأنا أسمع في سرى عن مدى ما بلغته استنتاجاته :  
 - « هكذا يمكن القول إن هناك قتلاً متسلسلاً .. وهذا  
 القاتل يحمل كل الأسباب التي تجعله يرغب في قتل مدرسي  
 التاريخ .. »

قال ضاحكاً :

- « لا ألومه كثيراً على كل حال .. »

- « وهذا القاتل ككل القتل المتسلسلين في الواقع يجب  
 أن يترك شيئاً يدل على خطته أو يدل عليه . نحن لم نعد  
 هذا الطراز من القتل في مصر ، لكنهم في الخارج يعرفون  
 هذه الأساليب جيداً . لديهم مثلاً ( زودياك ) Zodiac الذي  
 كان يرسل بطاقات لرجال الشرطة وما إلى ذلك يقولون  
 إنها تتجاوز رغبة التفاخر الطفولي . إنها رغبة مسمومة  
 في عقاب الذات ، ورغبة في أن يضبط .. أي أنه يقدم  
 بنفسه للشرطة الخيط الذي يقود إليه . لاحظ أننا نتكلم عن  
 نصف مجنون .. »

- « ومن هذا القاتل ؟ هل هو تلميذ يمقت التاريخ ؟ أم  
 هو مدرس جغرافيا ؟ »

- « اعتقد أن المراقبة النصيفة لهذين ( العباسين ) سوف  
 تقود إلى القاتل .. »

فكر قليلاً ثم نظر إلى ساعته وهتف :

- « ياه ! لقد أظننا عليك يا دكتور .. آسف على إزعاجك  
 لكنني قلق فعلاً . لم نعد مقابلة هذا الطراز من الجرائم في  
 مصر ، وبأي ثمن لا أريد أن أسمع عن الجريمة  
 الرابعة .. »

ثم نظر إلى مساعده وقال :

- « اعمل على أن يوصلوا الدكتور إلى بيته »

وكانت لهجته تقول بوضوح ( شكراً على لا شيء ) ..  
 ولم أستطع أن ألومه .. لكن من قال لهم إن علمي ينفع  
 هنا ؟ إن خبراتي مع المومياوات والمسخ لا تسمح لي أبداً  
 بالتعامل مع قاتل حقيقي .. كان ابنك مريض فتأتى له  
 بأفضل مهندس إلكترونيات في العالم .. وتدهش بعدها لأن  
 هذا المهندس العبقري لا يستطيع علاج طفل .

وفي السيارة التي شقت شوارع القاهرة في ضوء الفجر  
 الوردى الشاب ، خطر لي أن الأمر مقلق بحق . إن ارتفاع



أسعار الكهرباء سوف .. ماذا أقول ؟ ما علاقة هذا بالموضوع ؟ أه ! إتنى أخرف لا أكثر .. فقدت قدرتى على التفكير السليم لأن موعد نومي قد جاء ..

وعلى باب النهاية شكرت السائق وصعدت إلى شقتى ...  
سأنام .. سأنام .. سأنام .  
ثم أقام ...

## - ٧ -

لم تكن كبائن الهاتف العلبة منتشرة فى ذلك الوقت كما نراها اليوم ..

لذا كانت الطريقة الوحيدة لإجراء مكالمة غير معروفة المصدر هو أن تتصل من عند البقال أو السنترال .. السنترال خطر لأن هناك من يسترقون السمع على مكالمتك

لهذا فكر فى البقال . وكان البقال الذى اختاره فى ذلك الشارع الذى يعج بورش الميكانيكا رجلاً عجوزاً غير فضولى شبه مكفوف شبه أصم .. هكذا لن يسند ذقنه إلى قبضته ويظل يتابع كل حرف تقوله .. ذات مرة كلم فتاة يحبها عند بقال من هؤلاء الفضوليين ، وقد ظل البقال يتابع كل كلمة يتمثيل للتهجد ونظرات الهيام . ولا مانع من ( هلو ) بعد كل مقطع ..

البقال الذى اختاره كذلك يضع الهاتف بالداخل .. هكذا لا تجد خلفك طابوراً ممن ينتظرون دورهم ويسترقون السمع على مهبيل التسلية ..

فضولى جداً ! من أهم صفات الشعب المصرى أنه فضولى بشكل لا يصدق !

هكذا شاعراً بأنه (يهودا) فعلاً طلب (سامح) الهاتف  
ودخل المحل ثم نظر حوله وطلب الرقم الذى حفظه عن  
ظهر قلبه جاءه الصوت المهدب المنذر بالويل فقال  
بصوت راجف :

- « لى بلاغ عن قضية تجسس .. أحسبها كذلك .. »

ساد الصمت للحظة ثم عاد الصوت المهدب :

- « لحظة واحدة . »

كان يستطيع الآن أن يرى بعين الخيال أجهزة التتبع  
تعمل . أجهزة التسجيل تعمل الرجال الأشداء ينحدرون  
على الأعمدة الزلقة كما يفعل رجال المطافئ مصرعين نحو  
سياراتهم ( طبعاً هذه فكرة طفولية لكنه لم يستطيع  
إبعاد ) يرى سيارة ( الوسائل للمساعدة ) تتطلق وتلك  
الفرص على ظهرها يدور فى جشع بحثاً عن مصدر  
المكالمة يرى مائة كاميرا وجهاز تنصت تزرع فى غرفته  
بالنوكادة فى هذه اللحظة بالذات قبل أن يفتح فمه . يرى  
الوزير شخصياً يصدر تعليماته ، واللواءات الأشداء نوى  
النظارات السوداء يجتمعون بالمساعات فى قاعات واسعة  
مكيفة والعرض أن يعقلوه هو ( سامح ) .. والتهمة :  
الإبلاغ عن جاسوس يتضح أنه ليس كذلك !

أبعد عن ذهنه هذه الخواطر العصابية العصبية وركز  
على المكالمات ..  
بعد قليل جاء صوت أكثر عمقاً وتهذيباً يسأل من هو  
فقال :

- « أنا مواطن صالح .. »

- « ومن أين تتكلم أيها المواطن الصالح ؟ »

كان هذا تضييع وقت متعمداً .. بالتأكيد هم يعرفون أين  
هو أو على وشك معرفة ذلك .. لهذا قال دون أن يبالى  
بالرد :

- « هناك صحفي يدعى ( فايز قطب ) .. صحفي فى  
جريدة ( الأحداث الأسبوعية ) .. إن درجه ملء بالمشورات  
العبرية وخرائط ورموز .. وهو متغيب منذ أسبوع أو أكثر  
عن العمل .. »

ساد الصمت .. ثم قال الصوت الوقور :

- « إنه صحفي كما تقول . ربما كان هذا يتعلق بعمله . »

قال وهو يتهدى لا يفقد الوعي :

- « عمله لا علاقة له البتة باللغة العبرية »



عاد الصوت يقول فى مرح مهذب :

- « ليكن يا سيدى .. لكن ألا تريد أن تشرفنا بمعرفة اسمك ؟ »

- « فكت إتنى مواطن صالح . »

- « إذن لم لا تمر علينا كي نحتسى القهوة معاً وتحكى لنا بالتفصيل ؟ »

قال بصوت مخنوق :

- « لا شكراً ! »

ووضع السماعه و استدار ليدفع ثمن المكالمه ويلر ..

فقط ليجد أمامه أربعة رجال أصغرهم وأرقهم فى حجم باب الغرفة التى تجلس فيها الآن ، والشرر يقذف من عيونهم . بينما البقال المعجوز شبه الكفيف يشير له متهمًا وهو يرتجف :

- « إنه هو . كان يتلفت حوله ويتكلم همسًا فى الهاتف ، ويقول شيئاً عن التجسس . إنه جاسوس ! »

أدرك (سامح) ان هؤلاء هم الميكانيكية الذين ناداهم المعجوز لنجدته .. ويبدو أن حماسهم الوطنى ملتهب ..

قال أحدهم :

- « الجاسوس الوغد ! »

وقال آخر :

- « فليضرب بالأحذية ! »

- « بل نسلمه لرجال الأمن .. »

- « بعد أن يضرب بالأحذية ! »

صاح (سامح) وهو يتراجع للوراء بصوت أراده حازمًا فخرج كالتيكاء :

- « أنا لست جاسوسًا . أنا أبلغ عن جاسوس ! »

- « هلو ! »

كان هذا هو درسه الأول عن سلوك الجموع الذى لا منطقى له ، والذى وصفه (شوقى بك) بـ (باله من ببغاء .. عقله فى أذنيه) . لا فارق بين الجاسوس ومن يتكلم عن الجاسوسية .. المهم أنه كان يتكلم همسًا .. المهم أنه مريب .. المهم أنه يجب أن يضرب بالأحذية !

وقال له أحد الواقفين وهو يلوح بمفتاح إنجليزى مرعب :

- « ربما كنت صادقاً لكنك ستبقى هنا إلى أن يتأكد رجال الأمن من قصتك ! »

قال آخر وهو يلوح بـ ( كوريك ) عملاق :

- « وحتى يصل هؤلاء .. سنذيقه الويل .. »

- « نعم .. سيقمنى لو لم يولد ! »

- « نعم .. نعم .. فليضرب بالأحذية ! »

كما ترون ليس الرعب الوحيد في العالم هو رعب مصاصي الدماء ..

## - ٨ -

كان د. ( عباس فوزي ) قلقاً بحق ..

عندما يستجوبك رجال الشرطة ثم يقولون لك في كياسة إنهم يعتقدون إنك الضحية التالية ، لا تشعر باطمئنان كبير .. سوف تموت ميتة شنيعة لكن لا تقلق .. هناك من سينتزع قلبك من بين الضلوع لكن لا تخف .. سوف يكتب بدمك اسم ضحيته التالية .. لكن لا تهتم بهذا .. نحن نراقبك ..

فقط لا تبعد عنا .. لا تدعنا نفقد أثرك .. لا تسافر إلا إذا أخبرتنا ..

لم يكن يعرف إلا أن د. ( زكي عبد الرازق ) أستاذ التاريخ الذي أشرف على رسالته يوماً قد مات . مات قتيلاً بطريقة بشعة .. وقد قال له رجال الشرطة إنهم يتوقعون بشكل كبير أن يكون هو للضحية التالية وأن يموت بذات الطريقة ..

صاروا يصطحبونه بسيارتهم من وإلى داره . هناك مخبر يقف أمام باب بيته ومخبر يجلس على مقعد خارج غرفة المدرسين بالكلية .. لكن إلى متى ؟ سوف يملون وسوف يتركونه وحيداً عندها .. ..

كان ( عباس فوزى ) فى الخامسة والثلاثين بدينًا ذا عيني خضراوين مذعورتين ، وشعره فى الحياة هو : لقد خرجوا ليظفروا به . من هم ؟ الجميع .. كل شخص وكل شيء . ولهذا كانت وفاته واردة حقًا من فرط الهلع عندما عرف ما عرف ..

لم يكن متزوجًا لأنه يهاب النساء .. وقد أدرك أنه سيفقد قلبه الذى لم يستعمله قط ..

سأل رجال الشرطة إن كان بوسعه اقتناء مسدس لكنهم هزوا رءوسهم أن لا ..

هكذا كان يقضى أسود ساعات حياته فى العمل ، وأسود منها فى البيت . حتى بدأ يتمنى أن ينتهى القاتل من عمله سريعًا ليرىحه من هذا الجو ( الكافكاوى ) ..

قالت له ( موسى ) زميلته فى العمل :

« كل هذا الجو البوليسى يثير قلقى . »

ثم شرد ذهنها وقالت :

« هل تعتقد أنه يمكن أن يقتحم المكان حاملًا بندقية آلية ليفرغها فى كل الموجودين فى غرفة المدرسين ؟ »

نظر لها وابتنسم .. هى فقط تريد أن تطمئن على حياتها .. لو كان القتل سيتم بطريقة محددة فيها ورحبت ، أما أن تتعرض هى للخطر كذلك فأمر يثير الرعب ..

النظرة الأنيقة فرنسية الطابع ذات الزجاج الشفاف ، والشعر القصير على طريقة ( أنوك إيميه Anouk Aimée ) بطلة ( رجل وامرأة ) معشوقة الشباب فى هذا العصر . والشفتان المصبوغتان بالأحمر ، مع تلك اللعسة الراقية الأنيقة .. إنها بالضبط الأنثى التى تمنى لو فاز بها يومًا .. لكنه لم يجز قط على الكلام معها ، ومن الواضح أنه لن يفعل .. كان إحساسها بحسنها مبالغًا فيه من الطراز الذى جعلها موسوسة تشعر بأن الرجال لا يفعلون أى شيء إلا لينفثوا نظرهم . الأمر الذى يذكر ( عباس ) بأبيات الساخر الأعظم ( بهرم النونسى ) عن أنثى مماثلة تمشى فى الشارع .. ..

إن كبح واحد تقول قصده يشاغلى

وإن تغرأ راحل تقول عاوز يقابلنى

وإن بمن راجل تقول مالك حتاكتفى

أما إلتى يضحك ده يبقى ف هواها قتيل



قال لها في صبر :

« أحب أن أطمئنك أن أساليب القاتل دقيقة جداً ولا تترك مجالاً للخطأ . ثم أذكرك بأن هذا الموضوع سرى تماماً . لا أحد يعرفه أو هذا هو المفترض .. يقولون إنه كمين .. »

« أتمنى أن أرى ذلك الأحمق الذى سبق فى كمين كهذا ، بينما (بسطويسى) يجلس كالنمين على باب الغرفة .. »

« لحقنى كثيرون . على فكرة اسمه (حسن) لا (بسطويسى) »

« كل المخبرين اسمهم (بسطويسى) وكل رجال الأمن اسمهم (بسيونى) .. هذه قواعد صارمة لا تحرق إلا على سبيل الاستثناء الذى يؤكد القاعدة »

ابتسم ثم بدأ يشعر بذلك الحافز الذى يقاومه منذ خمس سنوات . الآن صار فى حالة من التهور العاطفى والنفسى ربما دفعته إلى الجنون ..

قال لها وهو يزن كلماته :

« ثمة شيء يجب أن أخبرك به .. »

قالت وهى تخط شيئاً فى ورقة :

« يتعلق بـ ؟ »

« بنا .. كنت أريد القول إن .. »

قالت فى ضيق :

« أنا لا أبالي بهذه الأمور .. دعنا نتكلم عما هو أهم .. هل جلبت لى ذلك المرجع الذى .. »

هنا توقفت ونظرت إلى الباب فنظر إلى حيث نظرت .

ذلك الرجل الضخم يطل برأسه من الباب ثم يتوارى لمحة واحدة لم تطل لكنها أثارت توتره .

نظرت له متسائلة فبادلها النظر ..

نهض واتجه إلى الباب فلم يجد (بسطويسى) الذى هو (حسن) على مقعده كما هى العادة .. المقعد خال فلابد أنه ذهب يبحث عن (تعميرة) فى أقرب مقهى .. لقد شعر بالملل ..

قال لها وقد شحبت وجهه :

« لقد رحل .. »

« وهذا الذى أطل من الباب ؟؟ هو ليس من أعضاء هيئة التدريس .. »

- « وليس طئيلاً .. إنه كبير وأكثر شراسة من أى طالب .. »  
بدأ يعرق وبدأ يشعر بأن مساقيه تتخلجان عنه .. هكذا  
اتجه إلى الباب فسأله متوترة :

- « إلى أين ؟ »

- « سأبحث عن ( بسطوى . أ . ) ( حسن ) .. لابد أنه  
قريب . يجب أن نعرف من هذا المتسلل . »

- « لكن هذا خطر . ربما كان هذا هو ما يريده بالضبط »  
- « لا اعتقد إن الكلية مزبحة والوقت نهار . من  
الأفضل أن أتواجد وسط الزحام »

ولم يشغل باله بصدد لها أنها على الأرجح ستعرف كيف  
تتصرف ، وهذا تطبيق حى لمقولة شاعر العامية العبقري  
( يموت حبيبي ولا استهواش ) ..

ومشى مسرعاً فى الممر بين الطلبة المتراحمين . فى  
نهاية الممر يوجد باب المصعد . سوف يستقله إلى الطابق  
السفلى ويبحث عن المخبر . إن لم يجده سيعود إلى دارة .

إنه يشعر بقلق لأن وجه ذلك الرجل الضخم الذى أطل  
من الباب لا يفارق خياله ..

انفتح باب المصعد فخطا إلى الداخل وفى اللحظة الأخيرة  
خطا لأحدهم إلى الداخل معه ..  
إنه يعرف هذا الوجه ..

ذات الوجه الأسمر والجسد الضخم .. ذات الملامح  
الغليظة والنظرة المرعبة المثبتة على وجهه بالذات .

إنه هو .. وقد كانت لعبة محكمة حقاً .. لا يمكن أن  
تتفرد بأحد فى هذه البناية إلا فى دورة المياه أو المصعد ..  
والمصاعد يمكن إيقافها بين طابقين فى أى وقت تريد ..

الآن ينطلق الباب وهو يقف .. كطفل أمام هذا العملاق  
الفارع ..

فى يد العملاق حقيبة رثة تطل منها أشياء مرعبة .. وثياب  
العملاق ممزقة متسخة تتم عن حياة خشن لا شك فيها ..

فتح فمه ليصرخ فلم يخرج صوت .

هنا مد العملاق يده الغليظة نحوه دون أن ينطق ..

هكذا تكور ( عباس ) على نفسه على الأرض فى وضع  
جنونى وراح يبكى كالأطفال ..

وعندما افتتح باب المصعد والتف العابرون ينظرون ما هناك . كان ( عباس ) على الأرض يعوى بصوت يمزق نياط القلوب ، بينما الكهربائي يضرب كفا بكف ..

.. « أقسم بالله إننى لم أعمه .. قالوا لى إن كشف غرفة المدرسين بالطابق الثالث لا يعمل .. وجدت أن هناك من يجلس فيها فقررت تأجيل الامر ، ونزلت لأصلح شيئاً آخر فى البناية ذاتها .. فجأة وجدتته معى فى المصعد يركع على الأرض ويكبى كالأطفال .. أقسم بالله إننى لم أنطق بحرف .. »

ثم يفهم الواقفون شيئاً . لكن الكهربائي ظل يردد وهو يضرب كفا بكف :

.. « يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم .. لا أعرف من أين تنهاوى هذه المصائب فوق رؤسنا !! »

مع الكثير من ( حنودون فى داهية الله يخرّب بيوتكو ) واعتذر لتعبير لكنى أحاول نقل ما قاله حرفياً .

فى هذه اللحظة عاد ( بسطويمى ) الذى هو ( حسن ) بعد ما دخن حجرين . وجد هذا الزحام حول مدخل المصعد فقرر ألا يضيع وقته بالانتظار .. إنها ثلاثة طوابق يمكن أن

يصعدونها وثباً .. إن هؤلاء القوم المترفين الأثرياء يملكون الكثير من الفراغ والبال الرائق ، وعندهم متسع من الوقت يسمح لهم بالتجمهر حول أبواب المصاعد .. أما هو فعليه مسئولية أمنية ثقيلة يجب أن يقوم بها ..



- « ( رفعت إسماعيل ) .. استأذ أمراض الدم بكلية طب  
( .... ) .. »

ضحك في حرج وقال :

- « لابد أن يكون أحد الطرفين غنياً عن التعريف ،  
مادام الطرف الآخر جاء للقاءه .. »

قلت في خبث وأنا أثير له إلى مقعد ليجلس عليه :

- « بالعكس .. أردت أن أذكرك بأنى طبيب أولاً .. بعض  
الناس ينسى هذا . كلهم في الواقع .. »

كنت قد أدركت أنه جاء لـ ( رفعت ) الآخر . ( رفعت )  
الذى يجيد الحديث عن تعويذات الكهنة القدامى ، وطقوس  
فتح التوابيت ، وطرق قتل مصاص الدماء .. هناك من  
يحسبني متخصصاً أتقاضى راتبي من الدولة مقابل هذه  
الخبرة .. أحب أن يتذكروا أنني طبيب من حين لآخر ..  
طبيب لا بأس به ..

قال في حياء :

- « في الحقيقة أنني جئت فعلاً من أجل د . ( رفعت )  
الآخر .. »

قابلت ( فايز ) في مكتبي بالكلية ..

لا أذكر اليوم طبعاً . لا أذكر الساعة .. لا أذكر الظروف ..  
فقط أذكر أن ( فايز ) هذا كان في منتصف العشرينات من  
العمر ، غير حليق الذقن . مبعثر الثياب كأنه في حالة  
نزول أبدي من الحافلة المزحمة . واعتقد أنه لا يظهر  
بالكثير من المال من عمله لأن حذاءه بحاجة إلى حذاء ..

لو تغاضينا عن هذا وهو بالفعل نافه فلنا اعتقد أنه شاب  
ظريف نكس . ولسوف يحقق نجاحاً عظيماً ما لم يتم  
تخطيطه كالعادة . إن عدد هؤلاء الشباب الموهبين للنجاح  
يشير ذهولاً لو تركوا وشأنهم لامتأ العالم بالناجحين ..  
وكما تعمل جهات ما على منع تكاثر ضفادع العجوم في  
أنهار استراليا كي لا تقتل التماسيح ، تعمل جهة ما على  
حفظ التوازن الطبيعي البيولوجي كي لا تموت التماسيح  
الحقيقية في العالم على يد هؤلاء الموهوبين الأنكباء ..

صافحني وقال :

- « أنا ( فايز قطب ) .. صحفي بجريدة ( الأحداث  
الأسبوعية ) .. »

تهدت في غيظ وقلت :

- « خمنت هذا ما دام عنفك لا تحيط به العقد اللعاقوية ، وما دام أنفك لا ينزف .. وما نمت متورد الوجه .. أنت لا تنال تغذية جيدة لكك سليم كالجرس .. ما هي مشكلتك يا بني ؟ »

- « خطر لي إنك الشخص الوحيد المثقف الذي يمكن أن أجد عنده إجابة . دعك من حقيقة أنك لا تكسب مليماً من هذه الأمور وهذا يدعو للثقة وحقيقة أن عندك شجاعة الاعتراف بأنك لا تعرف .. »

حقاً النقطة الأخيرة هي الأهم . لو أنك سألت بقع جرائد أو سبائك عن ( القينور ) لأخبرك به بلا تردد ورغم أنه لا أنت ولا هو ولا أنا يعرف أي شيء عنه .

ثم إنه فكر قليلاً وبدأ أنه يجد عسراً في البدء .. لهذا سهلت عليه الأمر ونهضت لأغلق الباب . هذا يعطيه فرصة لترتيب أفكاره ..

جريدة ( الأحداث الأسبوعية ) ؟ لابد أنني قرأت عدداً أو اثنين . إنها من تلك الجرائد التي لا تعرف هدفها بالصبط . أحياناً هي سياسية ، وأحياناً هي فكاهية تذكرك

بـ ( البعوضة ) ، وأحياناً هي مخصصة لمشاكل المرأة وكيف أن الرجال أو غداً ، وأحياناً تخصص في فضائح الفنانين للمفقة غالباً .. الخلاصة إنها جريدة ممتازة إذا كان الهدف من الجرائد هو تشرب الزيت المتخلف من قلى البطاطس .. حبرها ثابت بطريقة تثير الإعجاب وهو ما كانت تفتقر له صحف أكثر شهرة وأهمية ..

عدت لمفدى وجلست .. فقال لي بطريقة أكثر تصميمًا :  
- « الحقيقة أنني أردت استشارتك .. بصدد كتاب معين . هل تعرف كيف وأين أجد نسخة من كتاب ( إينوخ Enoch ) ؟ »

فكرت في الاسم قليلاً ثم تذكرت أين سمعته من قبل . قلت له ولما أفتح درجي :

- « اعتقد أنك إن تجده في مصر أبداً يا بني .. هناك نسخة شهيرة ترجمها ( دي Dee ) .. لكن ما الذي يقودك إلى هذه المتاهات العبرانية ؟ »

لم يرد وابتسم ، وإن سره على ما يبدو أنني لم أفتح فمي في بلاهة لدى سماع الاسم ..

قال لى :

- « أعتقد أنك كذلك تعرف من يدعى به ( نلتان غزة ) ؟ »

عنت أكرر فى إصرار :

- « طبعاً . قلت لك إن هذه متهات عبرانية لن تخرج منها أبداً . أعتقد أنك مهتم بسحر الكابالا اليهودى kabala هذا سحر اختص به حاخامات اليهود أنفسهم ومن الصعب أن تتعلمه أو تجد من يعلمه لك .. كتاب ( إينوخ ) نفسه عبارة عن شفرة معقدة جداً .. حتى لو وجدت ترجمة ( دى ) فلن تستفيد منها شيئاً .. »

قال فى تهذيب :

- « أنا أكتب مقالاً مهماً عن هذا النوع من السحر ، وقد راسلت الكثيرين خارج مصر . لكن كما قلت أنت لا أحد يتبرع بهذه الأشياء .. »

قلت له محذراً وأنا أظنك الدرج :

- « خذ الحذر نحن فى حالة حرب مع إسرائيل . لا تبعثر العيار حول نفسك لأن اهتمامك العبرانى هذا قد ينقذ حولك ظلال الشك .. إن تهمة التجسس ليست بعيدة عن أحد .. »

- « الفارق واضح بين من يدرس للعلم ومن يدرس للتخاطر »

- « أتعنى أن أرى كيف ستشرح هذا لرجال أمن الدولة عندما يرون لديك أوراقاً امتلأت بالخرائط والرموز وقد كتبت بالعبرية .. ويعرفون أنك تراسل البروفيسور ( ديفيد فلان ) أو ( حاييم علان ) بالخارج .. حدثهم وقتها عن سحر ( الكابالا ) .. نعم .. فهم رجال مرهقون يتوقفون إلى بعض المرح .. »

قال فى حزم وهو يضغط على عضلات فكه :

- « سأتذكر هذا .. شكراً .. لكن أرجو أن تقدم لى العون .. »

فتحت الدرج ثانية . فى المرة الأولى فتحته على سبيل تزجية الوقت والملل .. هذه المرة أفتحه لأخرج قصاصة ورق كتبت عليها بعض الحروف اللاتينية .

- « هذا عنوان نصاب يهودى يعيش فى الولايات المتحدة .. يدعى أنه ساحر وأحياناً أوشك على تصديقه ، لكنه يعرف أشياء كثيرة .. على الأقل يعرف أين يوجد كتابك هذا .. لا أرى ما يمنع من مراسلته لأنه مجنون شهرة ،



ويصوب لأن ينال أى نوع من التقدير بأى شكل . لاحظ أن مراسلة الولايات المتحدة لن تبعث حولك أبخرة الشك . «

أخذ القصاصة ونظر فيها وغمغم :

- « ( سام م. كولبي ) .. ( نيويورك ) ؟ شكراً سيدى .. سأعرف كيف أفيد من هذه المعلومات .. »

ثم نهض .. وفكر حيناً توطنه لأن يقول :

- « هل تسمح لى بالتردد عليك لمزيد من الاستشارات ؟ »

- « أى وقت .. »

لم يكن هذا وذا زائداً فلنا مازلت عدو العلاقات البشرية . لكنى شعرت بعطف عليه . حينما يسكن هذا العقل الذكى الطموح ذلك الواقع الفقير المحبط ، يكون الفتى جديراً بالرعاية وربما بعض الحنو الأبوى .. يجب أن يوجد إنسان ما يصفى إليه وهو يبكى ، ويفسر له لماذا فشل بينما هو جدير بالنجاح ، ويشرح له لماذا كان العالم بهذه القسوة ..

\*\*\*

لم أر الفتى إلا بعد أسبوعين واستقرت علمين حتى أتذكر من هو ..

قال لى وعيناه تلعبان :

- « الأمور تتحرك بسرعة .. »

- « هل وجدت كتابك ؟ »

- « فى الحقيقة لم أعد بحاجة إليه .. لقد تجاوزته منذ زمن .. »

ثم نظر حوله وقال بحذر :

- « فى الحقيقة لم يعد هذا المكان مناسباً للكلام .. لم تعد الجريدة مناسبة .. أنا لا أتردد عليها منذ فترة لا بأس بها .. لا أعرف مكاناً آمناً يمكن للكلام فيه . »

- « هذا من سوء حظك . »

قال وهو يواصل البحث بعينه عن جواسيس :

- « هل لى أن أطمع فى خدمة ما ؟ »

- « هذا يتوقف على الخدمة .. »

- « أريد أن أقابلك فى مكان خارج المستشفى .. بعيداً عن الناس .. يجب أن أطلعك على ما وصلت إليه .. »

فكرت في مثل .. الحق إننى لا أرغب بناتاً فى معرفة ما يعرفه .. لقد قابلت مليون شخص وصلوا إلى حل سر الكون وإلى ابتكار مذاهب فلسفية جديدة .. أحد هؤلاء كان يدعو لدين جديد قبل أن يدخل مستشفى المجانين الآن .. نعم .. لا أرغب للبهة فى سماع المزيد ..

لكنه كان مصرّاً كالكابوس .. هكذا لم أجد ما أفعله أو أقوله ..

قال لى :

« لن أتبعك معى .. هناك مدرسة تحت الإنشاء بقرب هذا المكان .. البناية خالية منذ فترة ولا توجد بوابة .. سوف نلتقى هناك .. »

قلت لنفسى إن هذا الفتى مخبول فعلاً ..

وسألته فى خبط :

« ألا ترى أن نلتقى فى المقابر ؟ سيضفى هذا بهجة لا شك فيها .. »

قال بحرج :

« يؤسفنى بشدة أن أطلب هذا منك .. لكن صدقتى لدى أسباب قوية جداً سوف تعرفها عندما نلتقى .. »

« ولماذا لا تختار أية كافيتيريا ؟ »

« الأسباب تتضح فيما بعد كما قلت .. »

حككت ذقتى مفكراً .. ثم فتحت الدرج وأغلقت على سبيل العصبية .. وسألته :

« متى تريد أن نلتقى ؟ »

« إن كان هذا غذا لغدوت لك شاكراً .. »

مندت يدي إلى المفكرة الصغيرة لأعرف مواعيدى فقط لأجد أننى أضعتها .. منذ افتتيت مفكرة المواعيد هذه لم أجدها فى أية مرة بحثت فيها عنها .. لقد ضاعت نحو مائة مرة حتى الآن ..

قلت له :

« لا بأس .. نيكى هذا عند الظهر . أرجو ألا يكون لليل شرطاً عندك .. »

قال ضاحكاً :

« أما هذا فلا .. الأمر متروك لكم .. »

وهكذا افترقنا .. وفترت أننى أخطأت عندما كنت ودوداً ..

هكذا سأحتاج إلى قدر زائد من العنف وقلة الذوق لأتخلص منه . وهو ما كان يمكن تجنبه بقدر قليل منهما في البداية ..

إلى اللقاء إذن ..

\*\*\*

عند الموعد توجهت إلى تلك المدرسة القريبة من مستشفى .  
إتتها مدرسة تحت الإنشاء منذ نعومة أظفاري .. لمسبب ما يعملون فيها إلى الأبد .. جدران من القرميد الأحمر  
بقايا مواد بناء ورمال . ربما قط أو قطران أصيبا بصدمة  
عصبية عندما رأيا بشرياً هنا .. يبدو أن البعض كان  
يستعمل هذا المكان كدورة مياه . لكن هذا منذ سنوات  
لحسن الحظ .. ثم لا شيء ..

أنت مخيف يا ( رفعت ) .. مخيف فعلاً .. هذا المكان لا  
يزيد على مقلب أو ..

لو فح ؟!

لكن أي فح ؟ ولماذا ؟ إلا لو افترضنا أن الفتى مخبول  
- وهذا وارد - أو يسخر مني - وهو احتمال ضعيف - ..  
لا يبدو لي مولعاً بالسخرية من الشيوخ ..

مشيت وسط المكان الخالي . لقد رأيت ومشيت في أماكن  
أسوأ .. دعك من أننا عند الظهيرة ونور الشمس يهدد كل  
خوف أو قلق . من الصعب أن أتصور كثرة تحدث لي  
هنا ..

أين الفتى ؟

نظرت لساعتي .. لقد مرت عشر دقائق .. معالم المقلب  
تتضح لي .. سوف أنتظر خمس دقائق أخرى ثم أرحل ..  
لا توجد دروس مجانية لكنني على الأقل لم أضرب أو أهان  
أو أدفع مالا .. وهذا شيء نادر هذه الأيام ..

صوت الأكين هذا ..

أنا موقن أن هناك صوت اثنين .. ولكن من أين ؟

مشيت ببطء نحو تلك الجدار الذي يشبه نهاية غير  
مستوية .. إن للصوت آت من هنا ..

مشيت بحذر .. متوقفاً أن أجد نفسي أمام كلب جريح  
غاضب .. لكن الفضول قتل القط في كل مكان وزمان ..

ما هذا ؟ في البدء خيل إلي أنني أرى كومة من الثياب  
الفاها أحدهم وهذا شيء وارد هنا ثم بنوت أكثر فعرفت



أنه ليست كومة ثياب .. أنا أعرف هذا القميص الذي لا يتبدل وهذا الحذاء الأرواح ..

إنه ( فايز ) .. هو بالذات ..

وبنظرة طبيب قدرت أن الأمر قد انتهى .. هذا الفتى الواعد المملوء بالحياة .. لكن ما أثار هلعى بحق هو سبب الوفاة .. لقد انتزع قلبه !

وقفت مذعورا .. أين النيترولوجسرين ؟ أين ؟

لقد تكلمت كثيرا في هذا الموضوع .. ناقشته ورأيت صورته .. لكن لم أتصور أن أراه رأى العين .. ثم ما دخل هذا الفتى .. هذا الصبي الذكى بالقصة ؟

« لم نعد مقابلة هذا الطراز من الجرائم فى مصر ، وبأى ثمن لا أريد أن أسمع عن الجريمة الرابعة . »

بدأ النيترولوجسرين بعمل وتصاعد الدم يخفق فى رأسى شعرت بدوار شديد .. يجب أن أضيف الأسبيرين إلى علاجى ، وإلا فإن جلطة الدماغ ستضم إلى قائمة أسباب وفاتى التى أجمعها كهواة الطوايع

بنوت من الجنة أكثر ..

لو كن الأمر صحيحا لوجبت كلمة بالدم إلى جوار الجنة .. لكن اسم ( فايز ) لم يكتب من قبل مطلقا فما معنى هذا ؟

لا توجد كلمات .. فقط بركة دم ..

وارتجفت واستندت بظهري إلى الجدار .. لم تكتب كلمات .. معنى هذا أنها لم تكتب بعد !!

ومعنى هذا أن القاتل هنا .. لم يجد الوقت الكافى ليرحل ! أين هو ؟ كيف أقاومه ؟ ما قدرتى على مقاومة قاتل يستطيع انتزاع قلب إنسان من صدره ؟ ربما لو تظاهرت بفقدان الوعي .. تلك الحيلة القديمة تتجح دائما معى ..

أين هو ؟

وفجأة وقعت حيناى على الجدار ..

الآن عرفت من كتب تلك الكلمات جوار جثث القتلى ..

بخط واضح رأيت الدم يجرى فى اتجاه مستحيل فيزيائيا ليكتب بوضوح تام :

( فتحى ) ..

إن أحدا لم يكتب تلك الكلمات ..

للكلمات هى التى كتبت نفسها !

## كتاب الأسماء

مخطوطات ؟ إن العالم يعج بها .. هناك  
مخطوطات في كل مكان .. حتى الشيخ (عطوة)  
نصاب قريبك الذي يزعم قدرته على فك العمل  
بملك مخطوطات . لو أن رجلاً وجدها بعد مائتي  
عام لملأ المنشورات العلمية صفيها عن اكتشافه  
المهول ..

- ١ -

قال ( عادل ) :

- « لعل الجرائم ستستمر . لعل القتل القادم يدعى  
( فتحي ) وسوف تجد بجواره اسم ( عباس ) .. »  
قلت له في غيظ :

- « هل رأيت ؟ اسم ( عباس ) ذكر من قبل .. هكذا  
لا يستقيم منطق الجرائم .. لقد لاحظنا أن الترتيب دقيق  
تقريباً .. كل قتل ينذر بالاسم القادم .. باستثناء الأول ..  
ولو قرأت اسم ( مصطفى ) جوار جثة الفتى لكان هذا أقرب  
إلى المنطق .. هذا يخلق الدائرة كما يقول كتاب  
السيناريو .. »

أشعل الغافة تنبع وقال :

- « أو لو كان قتل أمس يدعى ( عباس ) .. لاستقمت  
الأمر »

من جديد وبالقلم ( الفلوماستر ) القليظ الذي أحمله ،  
رسمت على الخزانة المعدنية جدول القتلى :

القتيل	ما كتبه الدم
مصطفى	عباس
يوسف	زكى
زكى	يوسف
فايز	فتحى

قال لى فى ضيق :

« هيه ! هذه القذارة لن تزول من على الخزائن المعدنية أنت تتلف أثاث الحكومة .. »

قلت شارد الذهن وأنا أتأمل الجدول :

« جرب استعمال قطعة مبيتة بالكحول .. دعنا من هذا وقل لى هناك اسمان كتبهما الدم ولم يُقتل .. ( عباس ) و ( فتحى ) .. »

قال :

« هذا ما أقصده . سوف يقتلان قريباً .. وعندها تستريح أنت نفسياً .. »

ثم أضاف وهو يمد يده ليتناول قَدَح القهوة الذى كان يبرد :

« الحقيقة أن عقلك لم يعد على ما يرام .. أنت موشك على الحبال .. أعنى أن خيالك ازداد عما كان »

« لا أعتقد هذا . سوف أعرف يوم أجن . إننى لراهن على هذا .. حتى اللحظة لا يوجد جزء يعمل بكفاءة فى جسمى إلا كليتى وعقلى وربما بعض العقد اللغوية هنا وهناك .. »

« وكلامك عن الدم الذى يكتب بنفسه ! »

جلست إلى الأريكة الجلدية .. الحقيقة أننى لا أصدق إننى رأيت ما رأيت . والمشكلة أنه لا يوجد شهود . دعنى أحك هذه القصة فى أى مكان ، وسوف تكتشف أن قميص الأكرام ليس بعيداً عن أى منا ..

قلت فى صبر :

« ( عادل ) . لا يوجد شهود .. لا أستطيع إثبات كلامى . لكن الدم هو الذى كتب هذه العلامات بنفسه . أقسم بالله العظيم أن هذا حدث .. »



أشار لعقله ولغافة التبغ تتدلى من فمه وقال :

- « صديق أعرف هذا . لكن هناك فارقاً بين ما رأيته بعينيك وما حدث فعلاً أنت تعرف ما أعنيه .. المجنون الذي كانت البعوضة تخبره بأنه ( نابليون ) ليس كاذباً . لقد سمعها فعلاً المشكلة هي . هل فعلت البعوضة ذلك ؟ »

قلت وأنا أتناول قهوتي :

- « لكن هناك شواهد تاريخية على هذه الظاهرة . »

نظر لي مندهشاً ورفع حاجبيه طالباً معرفة ما هو أكثر .. فقلت :

- « إن ظاهرة الـ Haemography معروفة ومدونة .. لكن لم يكتب عنها الكثير ثمة أشخاص يكتب دمهم كلمات عندما يموتون .. »

حاول نطق الاسم :

- « هيمو .. هيمو .. »

- « هيموجرافى . باليونانية ( هيمما ) معناها دم . ( جرافير ) معناها كتابة . الكتابة بالدم .. لكن الكلمات لا تكتب على الجدار حوارهم أو على الأرض . يقال إنك لو

مسحت جروحهم فإن الدم على المنشقة يتجمع فى كلمة ذات معنى أو شكل مفهوم .. »

- « وماذا يكتب الدم ؟ »

- « هذا يخضع لتفسير من يفروه .. هناك قصة مرعبة شهيرة عن أشخاص كان دمهم بعد موتهم يكتب GOD IS NOWHERE وهى كلمة خبيثة . يمكن قراءتها كما يلى GOD IS NOWHERE أو GOD IS NOW HERE .. حسب القصة تحدد طريقة قراءتك للجملة موقفك الإيماني . ضعيفو الإيمان يقرءونها بالطريقة الأولى .. راسخو الإيمان يقرءونها بالطريقة الثانية . »

قال ضاحكاً :

- « أه ! مثل تلك الأشكال التى يعرضونها عليك فى الاختبارات النفسية . بقعة حبر يراها البعض مزهريّة ويراها البعض وجهين متقاربين ويراها البعض راقصة باليه .. وهذا يحدد للطبيب ما إذا كنت تحمل فى نفسك لصاً أو مفاحاً أو مجرد وغد آخر .. »

- « لقد فهمت وجهة نظرى .. »

عقد يديه تحت ذقنه وسألني في حزم :

- « وبأية طريقة تقرأ تلك الأسماء التي كتبتها بماء الموتى ؟ »

- « لا أعرف . فقط أعرف أنه لا يوجد شيء سهل أو واضح في الحياة . من السهل أن تبدو الأمور واضحة منطقية ( عائية ) في القصص . لكن في الحياة يصير الفموض اسم اللعبة .. »

ومسحت بمسديلى الخزانة ثم نظرت له . فعلاً هذا اللون ثابت .. إنه باقى للأبد ..

قال لى فى غيظ :

- « هل ترى ؟ لن يزول هذا .. »

- « يمكنك أن تدهن الخزانة بلون آخر . هذا اللون الرمادى للحكومي كذيب على كل حال .. »

سألني ( عادل ) من جديد :

- « ما الذى يجمع بين هؤلاء الذين ماتوا ؟ »

قلت له :

- « سألوني في القاهرة في مديرية الأمن عن هذا .. خطر لنا إن العامل الذى يجمع هؤلاء هو نوع من التخصص الأكاديمي .. أكثرهم له علاقة بدراسة التاريخ . المكان الجغرافى لا علاقة له .. الحالة الاجتماعية والسن لا علاقة لهما . لهذا راقبوا كل ( عباس ) تنطبق عليه هذه الشروط . من الواضح أن هؤلاء بخير حال .. نلاحظ هنا الوجه الجديد .. ذلك الصحفي الشاب المتحمس الذى لم يعد كذلك ، نجد أنه ليس أكاديمياً لكنه مهتم بشدة بذلك الكتاب اللعين ( إينوخ ) ، وهو يريد أن يعرف شيئاً عن ( ناتان غرة ) و من جديد تتكرر نغمة الاهتمام بالتاريخ . إذن نحن أمام قاتل تسلسلى يقتل المهتمين بالتاريخ ! »

قال ( عادل ) باسمًا وهو يبحث فى درجه عن شيء :

- « بالمناسبة .. قبل مقتل الفتى بأيام اتصل أحد أصدقائه فى العمل بأمن الدولة . كان يشك فى أن ( فايز ) يمارس نشاط تجسس ما لأنه وجد فى درجه أوراقاً عليها كتابة عهرية .. »

أدهشنى الخبر . لم أتوقع أنني بارع إلى هذا الحد . لقد أذرت الفتى من سوء الفهم .. قلت :

- « هذا يتسق مع ما قاله لى .. إنه بالفعل مهتم بالسحر العبرى أو هذا ما فهمته . وأين هذا الصديق ؟ »

ضحك ( عادل ) كثيراً .. ثم قال :

- « للأسف سمعته بعض الميكانيكية المتحمسين وحسبوه حاسوساً . كان يتكلم عن جاسوس فاعتبروا هذا دليلاً على أنه هو نفسه جاسوس . لقد حولوه إلى عجين .. إنه بخير الآن لكن هذا جعلنا نعرف من هو وكان يرغب فى أن تكون المكالمات من مجهول .. »

فكرت فى الأمر قليلاً ثم سألته :

- « والأوراق ؟ »

- « لقد تم فحصها . يقول رجال المباحث إنها لا تمت بصلة للتجسس . إنها تمت للسحر الأسود والهرماء المعائن . إنها فى مديرية الأمن بالقاهرة الآن ويمكن أن أرتب لك الحصول عليها .. »

- « سأكون لك شاكراً .. »

وشاكرت مديرية الأمن . سأتناول غدائى فى مطعم سمك شهير هنا فى الإسكندرية ثم أعود للقاهرة .. الحقيقة أن

علاقى بالقضية انتهت .. لقد أقحمت فيها إقحاماً لكن من الحكمة أن أفر عندما تمنح لى الفرصة . ( عادل ) لن يطلبنى على الأرجح وكذلك اللواء ( طلعت ) ..

أنا حر .. حر تماماً ..



الآن تنتقل إلى أحداث وقعت منذ عامين بعيداً عن مصر ..

كيف عرفت هذا ؟ هذه تفاصيل سوف أحكيها فيما بعد ، لكن يجب أن أخبرك أن د. ( زكى ) كان يحتفظ بمذكرات دقيقة عن كل شيء . إنه رجل دقيق فعلاً حتى أنه كان يضع علامات صغيرة في أسفل كل صفحة ، عرفت فيما بعد أنها مرات دخول الحمام ..

نحن الآن في النمسا . للدقة نقول إننا في ( سالزبورج Salzburg ) المدينة النمساوية التي تقع في الغرب .

إن النمسا عبارة عن حلم بصرى وسمعى جميل لا يمكن وصفه ، ولا تعبر عنه إلا موسيقا ( شتراوس Strauss ) .. دعك من أن ( سالزبورج ) هي البلد الذي أنجب العبقري ( موتسارت Mozart ) معنى ( سالزبورج ) هو ( قلعة الملح ) لأن الملح كان ذا أهمية اقتصادية قصوى لهذا البلد .. نتحدث عن الماضي طبعاً ..

هذا الذى يلبس معطفاً وقبعة وجهه مأثوف لنا .. إنه د. ( زكى عبد الرازق ) أستاذ التاريخ الذى قُبِلناه من قبل

لقد مات في تلك الشونة كما نعرف ، لكننا هنا نلقاه منذ عامين في واحدة من أزهى فترات حياته وأكثرها خصوبة .. يبدو نمساوياً أكثر من النمساويين كما ترى لأنه تدمج فعلاً في هذا العالم ..

الفناء الشقراء التى تتعلق بذراعه ليست زوجته كما تلاحظون . إنها ( جابى ) صديقته . بالنسبة لى هى أقرب إلى سحلية تم سلخها أو صورة سلبية لامرأة جميلة .. لكنه يراها جميلة وهذه مشكلته على كل حال ..

لماذا هو هنا ؟ مهمة علمية طبعاً . إن راتب رهبان العلم هؤلاء لا يسمح بالسيحة . وكان قد حصل على درجة الدكتوراه من إنجلترا في ظروف كئيبة ، لهذا يمكن القول إنه لم يزل أوروبا قط ..

عرف ( جابى ) لأنها شقيقة أحد زملائه النمساويين ، وكانت مطلقة شابة لطيفة المعشر تطوعت لأن تكون مرشدته في هذا البلد الساحر ، وبفضلها صار يتكلم الألمانية كأهلها .. هنا تحدث العقدة الشهيرة التى عبر عنها ( يحيى حقى ) فى ( قنديل أم هاشم ) حيث لم يعد الرجل يرى فى العالم إلا نمسا كبيرة . هنا التحضر والرقى والجمال والعلم ..

اختلط حب البلد بحب الفتاة فلم يعد يعرف هل يحب النمسا لأنها بلدها أم يحبها لأنها نمساوية .. أنا مررت بتجربة مشابهة في أسكتلندة لكنني احتفظت لحسن الحظ بفلاح الشرقية الموجود تحت جلدي . أجسر على القول إنني أحببت (ماجى) برغم أنها أسكتلندية .. لاحظ هذا .. (برغم) وليس (لأن) ..

كانا الآن يمشيان جوار نهر (سالتساخ) حيث تطل عليهما تلك القلعة الرهيبة . يمكنك أن تكون مصوراً بارعاً بسهولة هنا . وجه الكاميرا إلى أى شيء واضغط الزر .. تحصل على كارت بوستال يمكن أن تهيبه ..

لكن د (زكى) كان قلقاً . فالمهمة التي جاء من أجلها لم تنجز كلها . ثمة جزء أكاديمي خاص بدراسة تاريخ آل (هابسبورج Habshurg) وقد انتهى ، أما الجزء الآخر فمهمة كلفه بها أستاذه البريطاني (تشارلز هاتون) .. إن (هاتون) لن يستطيع القدوم هنا لهذا كلف صاحبنا بهذه المهمة . والرجل على كل حال فى السبعين . ومن الواضح أنه لن يرى العام الجديد ..

لقد اتصل به ليلة السفر فى مصر وقال له :

- « على أنك سلامت مستريحاً .. لنا ثقى بك يا (زكى) .. »

ثم ابتلع ريقه بصوت مسموع عبر الخط الهاتفى وقال :

- « الرجل يدعى (ماتيو) .. (ماتيو درنشر) . وهو يعرف كل شيء .. سوف يساعدك ويخبرك بما ينبغى عمله . ولا تنس أنه يهودى . أعتقد أن هذا لن يؤثر عليك . »

قال (زكى) العبارة التي قالها مراراً :

- « إلى أن يقرر أن يكون صهيونياً .. »

- « أعرف هذا .. على كل حال سوف يصدع رأسك بالكلام عن المحرقة وتاريخ أجداده وأمه التي هلكت فى المصفلات . لكنه مفيد وسوف يقودك إلى كل ما تريد وداعاً »

وكان (زكى) الآن قلقاً لأن (درنشر) هذا لم يظهر . إنه يعرف الفندق بالتأكيد ويستطيع الاتصال به فى أى وقت .. لهذا لا شيء فى وسعه .. المشكلة هي أنه بقى يومان على موعد العودة لمصر . لقد انتهت المهمة العلمية ..

للسبب الثانى لقلقه هو أنه أدرك أنه لم يعد ينتمى بأى شكل إلى (فاتن) أم العيال .. بصعوبة كان يتذكرها .

ولسبب ما لم يكن يستعبد لها إلا وهي جالسة على الأرض تنف أصابع ( المحشى ) محشى الكرنب الذى يترك رائحة سلق كريهة فى البيت ، مع نخمة تدوم حتى المساء . بشعرها المكوش حالسة على جريدة فرشتها فى الصالة أمام المطبخ البصل يحول أنفها يسيل فتمسحه من حين لآخر فى كمها وقد صارت عيناها بلون الطماطم . وعيناها على التلفزيون فى نهم لتعرف ما إذا كان ( أحمد رمزى ) ميعود إلى (بنى عبد العزيز ) أم لا ..

يحدثها عن دراسته فتتكلم عن الطماطم .. يحدثها عن الشعر اللاتينى فتحدثه عن أم (وفاء) التى تحقد عليها ، وتلتبس لها الاحطاء هذه امرأة لا تعرف (فيرجيل) ولا يهمها أن تعرف أى شيء عن (فردريك الثاني) ولا ترتجف لدى سماع المذبحة التى قضت على آل (روماتوف) ..

صحيح أنها زوجة باسلة . صحيح أنها تحفظ بيته وترعى أصفاته صحيح أنه لم يأكل إلا الأفصل ولم ينبس إلا الأفصل صحيح أنها تدبر مصاريف البيت سواء كان معه حيه أو ألف لكنه لا يستطيع أن يبعد عن ذهنه وجهه (جاسى) القسم عيناها الدكيتان لو أن لأوروبا وجهها

لكانت هى (جاسى) . والأجمل أنها لا تبدى على الإطلاق أنها متضايقه من سنه المتقدمة أو قبحه . تحدثه عن (شراوس) فتحمله إلى آفاق بعيدة ، وتتكلم عن (نيتشه) فيشعر بأنه جالس معه ، ثم تأخذه إلى الكونشير لتسبح روحه مع (باخ) .. عندها لا يستطيع أن يزعم أن محشى الكرنب أفضل ..

لقد أخطأ الطريق .. لو جاء هنا منذ عشرة اعوام لكانت (جاسى) تدعى (فراو عبد الرازى) ، ولكانت (فانتن) متزوجة من رجل يعشق محشى الكرنب .

يعرف ما سيحدث حينما يعود لمصر .. لقد انتهت (فانتن) من حياته تماماً ولن تعود .. سوف يفلق باب مكتبه عليه ويدرس ويكتب ويدرس ويكتب إلى أن يموت . لن يتبادل معها إلا عشر كلمات على الأرجح بقية حياته .. لن يطلقها لأن هذه خطوة تحتاج إلى شجاعة كاسحة وهى لم ترتكب ذنباً يبرر هذا .. ذنبها الوحيد أن (جاسى) أجمل وأروع وأذكى وأرشق والطف وأسرع دعابة وأكثر أناقة وأنها نمساوية ..

الأسوأ هنا أن مصر كلها لم تعد فى ذهنه . عمه



(عبد الواحد) القرية . أخواه (شوكت) و(جوت) .  
الأرض الجامعة د. (غسان) . شارع العباسية . كل  
هذه ذكريات بعيدة جدًا فلو كان يؤمن بمذهب التماسخ لحسب  
أنها أمور مرت به في حياته السابقة على كوكب الأرض .  
تلك الحياة التي كوفئ عليها بأن بدأ حياة جديدة هنا  
كانت أزمة ضمير . لهذا لم يكن سعيدًا على الإطلاق ..

\*\*\*

ظهر (درشر) عصر اليوم قبل الأخير ، بينما (زكى)  
ينعم بنوم القبلولة الذي يستيقظ منه في السادسة . لهذا  
نزل إلى لوبي الفندق متعكر المزاج ..

كان (درشر) يلبس معطفًا رثًا وله ملامح يهودية  
واضحة ثمة تعبير من الشعور بالذنب على ملامحه كأنه  
ارتكب جرمًا في حقك وجاء يعترف ..

- «لقد اتصل بي البروفسور (هاتون) .. أنا تحت  
تصرفك ..»

وتصافحًا .. سأله (زكى) :

- «البروفسور يعتقد أنه موجود في قلعة (مونشبيرج)»

هز الرجل رأسه ضاحكًا وقال :

- «هذه القلعة تطل على نهر (سالتساخ) وكانت مركزًا  
تجاريًا للرومان يدعى (يوفافوم) . إنها مزار سياحي ولا  
يمكن أن يترك أحدهم شينًا كهذا فيها .»

ثم هز رأسه ونظر حوله بحذر وقال :

- «مكاننا هو منطقة (أوشر هورن) . هناك كهف .  
هذا مكان يسمح بإخفاء الأشياء»

- «متى نذهب ؟»

- «الآن .. إن معي سيارة»

كان هذا آخر ما يتوقعه (زكى) الذي إن لم يتم عصرًا  
ترنزل كيانه بالكامل .. لماذا لا ينتظر الرجل ليلاً خاصة أنه  
تأخر بما يكفي؟ . ثم قدر أن السبب واضح . الرجل  
لا يريد أي نوع من التخطيط . يريد عشوائية كاملة حتى  
لا يكون مراقبًا ..

هكذا غادر الفندق .. كانت هناك سيارة عتيقة صغيرة  
تقف في ساحة الانتظار . فركبها متوجسًا إلى جوار  
(درشر) هذا ..

وتنطلق السيارة عبر البلدة الجميلة متجهة إلى ( أوشر هورن ) ..

في الواقع لم يكن ( زكى ) مهتمًا بالأمر على الإطلاق ، لكنه تكليف من أستاذه .. وهذا التكليف لا يمكن أن يمر دون ملاحظة . إن ( تشارلز هوتون ) رجل دقيق مهذب ، وإلى حد ما هو مدين له للأبد لأنه أجاز أطروحته بعد ما حسب أنه سيموت دون أن يحصل عليها . ثم إن ( زكى ) كان مصابًا بعمدة ( الحواجة ) لهذا لم يتحمل أن يتوسل له هذا الأستاذ الإنجليزي الوقور طالبًا العون . كان هذا أقوى منه .

أخيرًا كان الطريق حاليًا قفًا ( درنشر ) وهو يخرج منديلًا من ثابله السيارة :

« لا تواحدنى . لكن المرحلة التالية ستتظل مرًا .. يجب أن أعصب عينيك »

صاح ( زكى ) بعصبية :

« كله إلا هذا ! »

قال لليهودى فى إصرار :

« إما هذا أو نعود . إننى أجازف بعنقى ولا أنوى أن أتخلى عنه على سبيل المجاملة .. »

قال بصدى :

« لكنى لا أعرف الاتجاهات هنا .. ثنى إن تعصيب عيني لن يحدث فرقًا .. لن أستطيع العودة حتى لو أردت هذا . »

قال للرجل فى خبث :

« ربما أنصّب بعضهم ذاكرتك .. سوف تتذكر نفقًا هنا وعلامة طرق هناك .. يجب أن أفعل »

ترك الرجل يعصب عينيه . وشعر بأنه أحمق .. كيف ثنى بأحد لدرجة أن يفتادك إلى مكان لم تزره من قبل ، وتسمح له بأن يعصب عينيك ؟ إنه الآن معدوم الحيلة فعلاً فلم يبق إلا أن تحترق الرصاصة جمجمته . وندم على أنه لم يترك اسم ( درنشر ) عند موظف استقبال الفندق

السيارة تواصل رحلتها . لابد أن الطريق كله مهجور وإلا لاستوقفت الشرطة هذه السيارة التى يركبها رجل معصوب العينين .

« هنا .. لكن لا تنزع العصابة »

قالها ( درنشر ) وهو يوقف السيارة .. ثم فتح الباب وساعد ( زكى ) على التراجع .. وجره من يده كطفل عبر

صحور وعرة نوعاً حتى أنه كاد يتعثّر مراراً . لابد أنه مشى نحو خمس دقائق ، ثم شعر به يدفع رأسه لأسفل . يبدو أن هناك درجات سلم . سلم صعب ذي زاوية حرجة . ومرت لحظات قبل أن ينزع اليهودى عصابته .

توقع ( زكى ) أن يعنى نور الشمس عينيه ، لكنه فوجئ بأنه فى مكان مظلم تماماً لا تثيره إلا بعض المشاعل . وعرف مصدر اللهب عندما رأى عود الثقاب فى يد الرجل .

اللهب الذى يلقى ظلالاً شيطانية على ملامح الرجل ، وهو تأثير معروف . لقد استنطال حاحباه وصار أنفه الشلس لو كان طفلاً لصرخ وفر من هنا ، لكنه أكثر نضجاً من هذا ..

إنه الكهف !

رفع عيبيه لأعلى وفى الضوء الخافت المتراقص استطاع أن يرى أن الرجل صادق . إن الجدار الذى أمامه كله يحمل ذلك الرمز الاستعماري الرهيب . صليب ( سوانستيكا swastika ) ..

الصليب النازى المعقوف ..

== ٢ ==

فى أيامه الأخيرة عرف ( يوسف ) .. أبو الحسن ) أن نهايته قريبة ..

هذا ما تخبرنا به تلك المذكرات التى كتبها وأعطاهها صديقاً له طالباً ألا يفتحها إلا فى حالة اختفائه . لقد عرف الصديق بخبر الوفاة لكنه ظل يحاول ألا يتورط فى هذه القصة ، وفى النهاية قام بفتح المظروف فتسلم الأوراق إلى مديرية الأمن فى الإسكندرية لتقع فى يد ( عادل ) ، وبالتالى تنتهى نسخة منها عندي أنا ..

على أننى وجدت تلك المذكرات فى وقت متأخر جداً بحيث لم تسمعنى قط على فهم ما يحدث .. ولو وجدتها فى يدى منذ البداية لتجنبت الكثير من العناء والضحايا . إلا أننى سأسمح لنفسى بحجب بعض الحقائق عن القارئ وإلا كان على أن أنهى القصة هنا والآن ، لأن المذكرات تفسر كل شيء .. هذا سلوك عادل فيما أرى لأنه يضع القارئ فى ذات حيرة موقفى فى تلك الفترة ، وقراءة أية رواية أو سماع أية قصة فى العالم تتضمن موافقة غير مكتوبة من القارئ / المستمع على أن يقبل احتكار الراوى لضح



الحقائق بالطبع يعرف الراوى ما سيحدث له ( أنا كارنينا )  
ومن قتل الأب ( كارامازوف ) وما سر المستند الذى سرقه  
( أرسين لوبين ) ، لكنه سيقدم هذه المعلومات فى وقتها .  
إنها الحقيقة . لكنها ليست كل الحقيقة .

\*\*\*

كان ( يوسف ) ( أبو الحسن ) مدرسا للتاريخ فى كلية  
الاداب ، وهو شاب مهذب شديد الذكاء .. كان ذكاؤه أكثر  
من اللازم فى الواقع متزوج وله طفلة رقيقة تدعى  
( ريهام ) . هذه مأساة أكثر من هلكوا فى هذه القصة ،  
لأنهم جميعا متزوجون وآباء باستثناء ذلك الفتى ( فايز )

فى الفترة الأخيرة كان ( يوسف ) ( يوسف ) منهمكا فى  
دراسة تستغرق الكثير من الوقت والجهد . وكان قد عاد  
من ( بريطانيا ) منذ عام واحد . يبدو أنه وضع أولى  
خطواته على الطريق هناك ، وإن كان أحد لم يعرف ما  
يفكر فيه . كان من تلك الشخصيات الكتوم التى يمكن أن  
تدبر جريمة قتل أو تخطط للحرب العالمية الثالثة دون أن  
يختلج لها جفن ..

على أنه بدأ يحقق تقدما واضحا فى بحوثه ، وبدأ يدرك

أنه وجد وريدا ثريا .. هذه هى اللحظة التى تبدأ فيها  
الدجاجة الصياح لأن البيضة تؤلمها ..

ولهذه الأسباب عرض ما توصل إليه على أستاذه  
الدكتور ( مختار ) .. لماذا اختاره بالذات ؟ لا يعرف . فجأة  
شعر بأنه يثق بهذا الرجل .. على كل حال لو فتشت بعناية  
لما وجدت شخصا أصلح لهذه المهمة منه ..

كان د. ( مختار أبو مندور ) راهب علم من الذين تعج  
بهم هذه القصة .. لكنه يختلف عن رهبان العلم الحقيقيين  
فى أنه ترى متزوج . كان يملك ثروة لا بأس بها وفيلا  
فاخرة وسيارة تدير الأعناق .. لا أحد يعرف من أين جاءته  
هذه الثروة وهو لا يملك إلا راتبه ، لكن أكثر الناس كانوا  
يعتقدون أن ملامحه تتم عن أصل أرستقراطى لا بأس به ..  
ربما هو الميراث .. بل لابد أنه للميراث لأن أسرته ثرية .

وكان لطيف المعشر حاصر الدعابة من الطراز الذى  
تعرض عليه مشكلتك فتشعر أنها صارت مشكلته .. وقد قابله  
( يوسف ) .. فى ذلك النادى الراقى الذى يتناول غداءه  
فيه ، فأصر أولاً على أن يطلب غداء لـ ( يوسف ) .. سر  
هذا كثيرا وإن أخفى سروره وراء الكبرياء ، وراح يجاهد

كى يستعمل الشوكة والسكين بشكل لائق أمام هذا الرجل الذى لا يكف عن مراقبة طريقة أكله خلصة ..

كانت النقطة الأساسية هي أن الرجلين لم يشتركا فى أى عمل علمى من قبل .. وبالتالي لا توجد أرضية مشتركة بينهما ، لكن ( يوسف ) كان قد سمع عن عقل ( مختار ) الراجح وقدراته العقلية النقدية .. إنه قادر على تفنيد أى هراء فى ثوان ..

هكذا طرح مشكلته وهو يجاهد المكرونة التى تلبى الالتفاف حول الشوكة ..

قال د ( مختار ) وهو يسترخى فى مقعده :

« ما عرفته مهم وطريف يا ( يوسف ) .. ، لكنك تبدأ على أرضية مهتزة .. شخصية غير محترمة بدأت هذا الخيط . فما الذى تتوقع أن تصل إليه ؟ »

قال ( يوسف ) :

« إن المخطوطات معي .. »

هز الرجل رأسه ضاحكاً وجرع جرعة من كأس العصير وقال :

« مخطوطات ؟ إن العالم يعج بها .. هناك مخطوطات فى كل مكان .. حتى الشيخ ( عطوة ) نصاب قرينك الذى يزعم قدرته على فك العمل يملك مخطوطات . لو أن رجلاً وجدها بعد مائتى عام لملأ المنشورات العلمية صخباً عن اكتشافه المدهول .. »

ثم أشار إلى رأسه وأرفف :

« يجب أن يمر كل شيء على هذه المصفاة .. فما يبقى فيها يمكن البدء منه .. يجب أن تتمتع بعقلية جدلية وأن تناقش وتطرح الأسئلة .. يجب أن تفترض أنك مخدوع وتحاول إثبات العكس . هذا هو ( الفرض الباطل Null Hypothesis ) الذى قاد العالم إلى التقدم .. »

هنا وصلت المكان امرأة على قدر من الجمال .. لها شعر أسود قصير وتخفى عينيها خلف نظارة سوداء . رفع ( يوسف ) حاجبين متساقلين فقال ( مختار ) وهو يجنب لها مقعداً لتجلس :

« لمدام .. ( علياء ) »

هزت رأسها محيرة ، ولم تقل أى شيء .. فراح ( يوسف ) .. يختلس لهما النظرات من حين لآخر . يبدو

مظهرهما مفاكئهما هما لقطة من أحد الأفلام العربية ..  
البادي البازين المدام .. طبقة أخرى تمامًا تختلف عن  
الطبقات التي اعتادها في الجامعة .. وقال لنفسه : إن  
وراءهما سرًا والأهم أنهما لا يبدوان سعيدين

جلست المرأة تدق بأناملها بعصبية على المنضدة ، ثم  
جاء البادل فراح ( مختار ) يثرثر معه ويتفحص القائمة ..  
هنا رفع ( يوسف ) عينيه نحوها فادرك لرعبه أنها تنظر  
له من وراء النظارة ..

نظر إلى يدها فوجد أنها تمسك قلماً وتخط به على قطعة  
من الورق الرقمين التاليين :

06

وراحت تعيد حفر الحط على الرقمين مرارًا وتكرارًا ..  
وفي الحاح ثم مزقت الورقة وألقت بها في منفضة التبغ  
بشيء من العصبية ..

أنهى ( يوسف ) العداء فنهض شاكرًا . قال له  
( مختار ) وهو يلوح بيده :

« يمكنك أن تمر على مكتبي لتفحص تلك الأوراق  
معا .. لنا موجود جدًا . »

« إن شاء الله »

\*\*\*

بعد ما انتهى الدرس ( السكشن ) فرغ من الإجابة عن  
أسئلة الطلبة ، وقرر أن يتجه إلى مكتب الدكتور ( مختار ) .  
إن للدكتور ( مختار ) من أقطاب القسم ؛ لهذا مكتبه على  
قدر من الفخامة ، وله حمام نظيف ملحق به .

دخل الغرفة فلم يجد الدكتور ، لكنه سمع صوت الماء  
ينساب في الحمام .. جلس على مقعد جلدي وراح يتأمل  
للشهادات المعلقة على الجدران ، وصور د ( مختار ) مع  
أشخاص مهمين جدًا . إنه لا يعرف شكل ( هيرودوت  
Herodotus ) أبى التاريخ لكنه لن يندهش لو كانت له  
صورة بصفحة د ( مختار ) ..

نظر إلى الحمام الذي كان بابها مواربًا .. استطاع أن  
يرى جزءًا من كتف الدكتور ( مختار ) أمام مرآة الحمام ..  
رجل يشذب شاربه فلا يوجد شيء غريب .. كانت الرؤية  
صعبة غير أكيدة ، لكن خيل إليه أنه يرى مشاهدًا غير ممكن



فى المرأة .. الدكتور ( مختار ) يخرج لساناً طويلاً كلسان السحلية يلحق به كرتى عينيه ! ثم يمد يده ليجمش أنفه والأسجة المحيطة به ليمطها ثم يضغطها كأنها عجين بعيد تشكيله !

عند هذا الحد كانت ساقا ( يوسف ) .. أسرع من تفكيره ومن خوفه حتى ( الأرنباين ) لم يصل لأى جزء من حسده بعد ، لكن ساقيه تصرفتا على مسئوليتهما . وسرعان ما كان يجد للسور فى المعمر ..

أخيراً توقف جوار الكافتيريا فدخل يطلب من العامل كوب ماء ..

ومع الجرعات الباردة راح يستعيد كل هذا الذى رآه .. مستحيل .. هى هلاوس بصرية .. لا أكثر .. لكن منذ متى تأتية هذه الهلاوس البصرية ؟ كان دوماً لا يفهم كيف يخرف إنسان أو يهذى أو يفقد الوعي .

لا جدال فى أنه رأى ما رآه ..

المشهد الكابوسى يتخذ موضعه على رفوف كوابيسه ولنسوف يطارده إلى الأبد ، أما الآن فهو يمر بحالة تشبه

حالة اللجاجة المنبوحة التى تمشى وتلتقط الحب غير مدركة لحقيقة أنها تموت ..

وفجأة توقف ..

أخرج قلمه وكانت هناك جريدة صغيرة على الرف .. اقتطع من هامشها قصاصة وكتب عليها :

06

الزوجة كتبت هذا وظلت تعد كتابته مراراً .. لكنه كان يراها من ناحيته هو .. كان يرى ما تكتبه مقلوباً .. فلو قلب القصاصة لوجد أن المكتوب هو :

٩٠

وهذا لا يعنى شيئاً .. لكن لماذا تفترض أنها كانت تكتب رقماً ؟ إن فى الإنجليزية أحرفاً تتشابه مع الأرقام ، ولنسوف يعرف هذا أى برنامج OCR ( قارئ بصرى للحروف ) بعد أعوام .. خاصة مشكلة B/8 ومشكلة q/9 ومشكلة S/5 ومشكلة O/0 (\*) .

(\*) يستعمل خبراء الكمبيوتر العربيون تعبير ( خطأ B8 ) كناية عن غباء أجهزة المسح الضوئى ..

إذن ما كانت الروجة تكتبه بهذا الإلحاح هو :

go

كانت تتصحبه بالرحيل . وكانت تتصحبه بهذا بينما زوجها مشغول مع التادل .

ولكن لماذا ؟ ما الذى كانت تعرفه ؟ وبعبارة أدق : ما الذى لا يجب أن يعرفه زوجها ؟

والسؤال الأهم هو : هل رآه ؟ مستحيل ألا يكون قد رأى انعكاسه فى المراة

هذه لم تكن غفلة .. لقد كان يرسل له رسالة واصحة . نعم أنا كما حسبتى وأكثر ..

كان ( ( يوسف ) ) يعرف الآن أبعاد المشكلة أكثر من أى واحد آخر ..

إله هلك لا محالة ..

== ٤ ==

عبدًا حاولت أن أنسى القصة ..

عبدًا حاولت لكنها ظلت تكرر نفسها بالإلحاح على عقلى الباطن .. لا أعرف ما الغريب فى هذا .. إنها قصة بشعة لكن قل لى أى شيء بشع لم أره فى حياتى ؟ ليس الأمر خارقًا للعادة . وليس ذا مكانة خاصة فى متحف ذكرياتى .. لهذا استبد بهى العجب حينما نمت فى شقتى ، فرأيت ذلك الجدول الذى رسمته على خزانة ( عادل ) واضحًا جليًا أمام عيني .

لا توجد علاقة واضحة .. حقًا لا توجد علاقة واضحة .. الاسم المكتوب بالدم ليس دائمًا اسم الضحية التالية ..

( عباس ) .

( زكى ) ..

( يوسف ) ..

( فتحى ) ..

ثم القلتى :

( مصطفى ) ..

( يوسف ) ..

( زكى ) ..

( فايز ) ..

( عباس ) ، ( زكى ) ، ( يوسف ) ، ( فتحى )

( مصطفى ) ، ( يوسف ) ، ( زكى ) ، ( فايز )

وفجأة هبط على الحل من ذات المكان الذى يهبط منه  
إلهام الشعراء من ذات المكان الذى جاءت منه لـ ( إلياس  
هاو Howe ) فكرة أن يتقرب طرف إبرة آلة الخياطة ..  
يقولون إنه بام وفكرة تلقيم الخيط تورقه؛ ثم رأى فيما يرى  
المائم أن مجموعة من أكلة لحوم البشر تحيط به ، وكانت  
رعوس رماحهم مثقوبة هكذا نهض من النوم صرخاً .  
وجدتها !

أنا كذلك وجدتها !

الحروف الأولى من الأسماء التى تركتها الدماء على  
الأرض .. وبالترتيب هي :

ع ر ي ف

( عزيز ) !

\*\*\*

الآن صار اليوم مستحيلاً .. أولاً : بسبب الحماس ..  
ثانياً : بسبب الرعب .. الحق أعترف أن انقباضاً شديداً غمر  
صدرى عندما سمعت هذا الاسم المشنوم ..

أضأت الأنوار كلها .. ثم دسست فى جهاز الكاسيت  
شريطاً عليه تسجيل قرأنى . أريد أن أسمع كلمات الله  
تتردد فى هذا البيت الكئيب .. رباه ! لكم أنا وحيد تعس !

لو كانت هناك زوجة ثرثارة لا تكف عن لومى وتفتيش  
جيوبى لما شعرت بهذا الذعر كله . إن الملل والانعراج  
أفضل من الرعب على الأكل ..

فى الصلاة جلست أفكر فى معنى هذا كله ..

قد أكون واحداً قد أكون أحق وليتسى كذلك فعلاً لكن  
هذا الترتيب متعمد . أقسم أنه كذلك ( العزيز ) .. الأمر  
يتعلق به وقد سمعت هذه الرائحة المشنومة عندما تكلم  
( فايز ) عن الكتاب المشنوم الآخر ( إينوخ ) . وعن ( ناتان  
غزة ) ..

العزيز . لغوياً هو صوت الحشرات فى الصحراء ليلاً  
والذى كان العرب يحسبونه صوت الحن .



شاعر عربي قيل إنه مجنون . وقيل إن اسمه ( عبد الله الحظرد ) . على الأقل هذا هو الاسم الذي قاله ( لافكرافت Lovecraft ) مراراً في قصصه .. إلا أن الغربيين الذين يعرفون العربية لاحظوا ما لاحظناه نحن .. ليس هذا الاسم ذا رنين عربي على الإطلاق .. لهذا وضعوا احتمال أن يكون الاسم الأصلي ( عبد الله ظهر الدين ) أو ( عبد الغزى الراهب بن عاد ) . الاسم الأخير غير منطقي هو الآخر لأنه لا يمكن أن يوجد بعد الإسلام من يدعى ( عبد الغزى ) .

إنه العام ٧٠٠ م الشاعر ( الحظرد ) يولد في ( صنعاء ) وقيل عنه الكثير على لسان المؤرخين وعلى لسان ( لافكرافت ) لهذا يمكن أن نقول باطمئنان إنه عاصر عصر الأمويين ، وسافر كثيراً إلى خرائب ( بابل ) وأجاد عدة لغات . وزعم أنه يعرف موقع بقايا ( إرم ذات العماد ) التي ذكرها القرآن الكريم (\*) .

هناك نبع مهم لأفكار ( الحظرد ) هو أساطير مدينة ( هارتيان ) وهي من بلدان الشمال .. أي أن أهلها أقرب إلى الفايكنج والكلت . استقر عدد من هؤلاء في بغداد

(\*) سورة الفجر - الآية السابعة .

مكونين مجتمعاً منفلقاً لم يدخل الإسلام ، وهم من أطلق عليهم اسم ( الصابنة ) . إلا أنه استطاع أن يندمج بهم وقد أعطوه ثقتهم وحكوا له الكثير . ويبدو أن حكاياتهم قد جعلته يفكر كثيراً . يفكر أكثر من اللازم .

لهذا سوف نرى في أعماله طابعاً واضحاً يدل على ثقافة ( شمالية ) واسعة ..

ثم استقر في دمشق ليكتب ذلك الكتاب المخيف ( العزيف ) يقولون إن هذا هو ما قام به ( نوستراداموس ) بالعكس .. ( نوستراداموس ) درس السحر ليعرف أسرار العد ، بينما ( الحظرد ) درس السحر ليعرف أسرار الماضي

في العام ٧٣٨ م ( ١٢٠ هـ ) يرحل ( الحظرد ) إلى الربع الخالي في الجزيرة العربية ليحيا وحيداً . هذا مكان يناسب أساطير العرب جداً .. الفلاة والقفر والجن بالنسبة لنا معشر العرب يجب أن نتذكر أن ( عاد ) هم قوم سيدنا ( هود ) عليه السلام ، وكانوا يعيشون بالأحقاف بين ( حضرموت ) والشحر وعُمان قرب الربع الخالي بشبه الجزيرة العربية . ومنهم جاء نسل ملوك ( جرهم ) الذين

قيل إنهم من العماليق

ثم يحكى الشهود أنهم رأوا ( الحظرد ) من بعيد وهو يصارع مع كس محيف غير أرصى . وأن نهايته كانت شنيعة ..

رعد ( لاكرت ) ان ( الحظرد ) كان يهد الهة وثية دعى ( كوثو Chathu ) و ( يوح سوثوث Yogh ) طبع لا استع هذا الجزء على الاطلاق ، لأن هذه الاسماء ( لاكرائية ) حد ولا يسيعها العقل العربى أو يستطيع اختراعها ..

عندما ابتكر العقل العربى أسماء فهي تاتى من ثقافته وحقيقته . وليس اشئ ينطق على العقل العربى حتى على مستوى النطق نفسه اشعر برغم أن هذا غير صحيح - كل هاتك هم عربيا بشرية يناسب النطق باسماء مثل ( مرو انفس ) و ( بدو قيقاع ) ، بينما تشريح النعم العربى حتى منطلق ( Laqasite ) و ( Deletermus ) طبعاً قد يحرب العربى نطق اسماء عربية والعكس لكن النتيجة فى الحائى لا تحدد حداً وقد سمعت كورى ينطق اسم ( هتشوك ) ثم تتبين انسى فى نطقه أى حرف شين أو كاف لسب أن هذا قم كورى يحركه عقل كورى

أين ذهب نص الكتاب الرهيب ؟ لا أعرف لا أحد يعرف على الأرجح لقد تبخر ( العزيف ) تماماً . وقد حاول الحاكم ( إدريس شاه ) أن يجده فى كل المكتبات العربية والهندية فلم يوفق إلا أننا نعرف أن رجلاً يدعى ( نيودور فيلييتاس ) ترجمه إلى اليونانية فى كتاب من تسعمائة صفحة وهو الكتاب الذى سيأمر السا حريشورى التاسع عام ١٢٢٢ بمنع تداوله وإحراق نسخه ..

لما انتهى ( فيلييتاس ) من الترجمة ، بحث عن اسم يناسب العقل واللسان الغربيين كما قلنا من قبل فاختار ذلك الاسم الذى صار مألوفاً لنا ..

( نيكرونوميكون Necronomicon ) ..

ومعناه ( كتاب اسماء الموتى ) ..

مرعم أن هذا لا يمثل له ذكرى خاصة . وجد د ( زكى )  
رهبة في النظر إلى شعار النازية هذا ..

بالتسعة للعرب لا يمثل الصليب المعقوف ذكرى مريرة  
و ربما كان يمثل للبعض حلم الخلاص من الاستعمار  
الاحتيرى في فترة ما هو نفسه كان في العقد الثالث من  
عمره في ذلك الزمن ، وكان ضمن الشباب الذين خرجوا  
يهيئون في اشوارع - « تقدم يا ( روميل ) »

نكن حبيب تحدد هذا العنوان الاستعماري القوى على  
جدران كهف .. فلأبد أن تشعر برهبة ..

قال ( درنشر ) وهو يرفع المشعل عاليًا

- « لا يعرف هذا الموضع الا ثلاثة أو أربعة في هذا  
البلد .. »

ثم تقدم إلى الأمام فاصطر ( زكى ) إلى أن يتبعه وهو  
يتساعل أي مغبول هو ..

كان الشعار على جدار عتيق ، وفي قلب الحدار باب  
عما إن فتح اليهودى الباب حتى هبت روائح العطن .

واستطاع ( زكى ) أن يدرك أن هذا ممر طويل ضيق .. له  
سقف منخفض .. مكان كابوسي فعلاً فكيف بالظلام ؟

قال ( درنشر ) وعلى شفتيه ابتسامة وقحة لا تعرف  
سببها :

- « كانوا يعذبون بعض اليهود في هذه الأقبية .. »

كان ( زكى ) يتوقع هذا على كل حال .. لن يكف الرجل  
عن الكلام عن المحرقة إلى الأبد .. يذكر أحد الدبلوماسيين  
الأمريكيين أنه عرض على ( بيجين ) رئيس الوزراء  
الإسرائيلي لعب الشطرنج ، فقال هذا في مرارة : لم ألعبها  
منذ هلك أبى في معتقل ( أوشفيتز ) . كان يحبها .. ثم  
اعتقله النازيون و ...

- « وراح يحكى فاصلاً مربعاً عما فعله النازيون  
بأبيه .. هنا مرت زوجة ( بيجين ) برقعة الشطرنج فرأت  
زوجها يجلس مع الدبلوماسى الأمريكى فهتفت فى مرح :  
« شطرنج كالعادة ! إن زوجى لا يكف عن لعب هذه اللعبة  
ليلاً نهاراً !! »

هكذا راح ( درنشر ) يحكى له ( زكى ) حكايات مرعبة عما  
كان يتم في هذه القبو منذ ثلاثين عاماً . دعك من صوته

الهمس استببه بالفحيح والصوء الخافت ورائحة العطن  
الحق إنها تجربة مريرة فعلا ..

سأله ( زكى ) ليقطع سياق خواطره :

« هل الأوراق كاملة ؟ »

قال ( برنشر ) :

« لا .. أعتقد أنك تعرف هذا من البروفسور ( هاتون ) .  
هذا هو الجزء الذى تمكن الدريون من سرقة من المتحف  
سريطانى ان ( كراولى ) كان ثشارا .. أنت تعرف أنه  
كان عضواً فى الجمعيات الماسونية وقد ارتقى لسانه أمام  
أحد الأعضاء الألمان هكذا اتفعل الخبر إلى الوعد  
الأكبر ( ادولف هتلر ) شخصياً وقد كان شديد الإيمان  
بأفكاره شديدة التطير بعد قليل تمت سرقة بارعة جداً  
لمتحف سريطانى سرقة محكمة تتم عن تحطيط لا يقوم  
به إلا جهاز محبرات .. الذى سرق من المتحف " سرقة  
كتلوح المتحف وسرقت ترجمة ( دى ) لهذا الكتاب أعنى  
بعض قصصها لأنها لم تكن كاملة من فعل هذا " »

ثم نظر الرجل إلى القبو أمامه وقال :

« من وشها نشرت ؟ سأعتك تقول إن الكتاب مخبأ فى

مقر قيادة نازى فى مكان ما من ( أوشر هورن ) فى  
( سالزبورج ) .. لكن أين ؟ أين ؟ »

وضحك كثيراً ثم التفت عيناه وقال :

« محسوبك يعرف .. إن لليهود أبحاثهم وقد تمكنوا  
من العثور على هذا المقر المختبئ فى الكهف لقد مات  
سره مع النازيين وصار نسب منسيا .. كل من له علاقة  
بهذا المكان قتل أو انتحر أو فر إلى أمريكا الحسوبة .. لكننا  
معشر اليهود نعرف كيف نستفيد مما نعرفه والبروفسور  
( هاتون ) يعرف هذا جيداً .. لذا اتصل بى ونجح فى إقناعى  
بالتخلي عن هذا الكتاب .. »

سأله ( زكى ) وهو يغالب تقززه :

« ولماذا لم تأخذ الكتاب لنفسك ؟ »

« من يله بالنار يحترق بها .. هذه لعبة خطيرة جداً  
تحتاج إلى أشخاص من وزن ( دى ) و ( كراولى ) للتعامل  
مع هذه القوة الشيطانية المرعبة .. لكنى رحل بسبب لا  
يرغب إلا فى الشراء .. ولربما كان الخلاص من هذا السر  
أفضل لسلامتى الشخصية .. أعتقد أن البروفسور ( هاتون )  
يدفع جيداً .. »



مد (زكى) يده إلى جيبه وتحسس الشيك . لن يعطيه الرجل إلا بعد التسلم . طُف من الوارد أن يحتفظ الرجل بالشيك والكتاب ولن ينومه أحد . لو قُتل (زكى) الآن فلا مشكلة .. لن يفتضح أمره أبداً ..

لكن (زكى) دعا الله ألا تكون الأمور بهذه الخطورة بالنسبة له لا يزيد الكتاب على مخطوطة أخرى من عشرات المخطوطات ولو كان يعرف هذا التاريخ الأسود لتردد مراراً مخابرات نارية وكهف و .. و . لعبة مرعبة حقاً .. الآن كان (درنشر) يتقدم وسط الممر .. ثم فتح باب إحدى الغرف الجانبية ودخل ..

مشى (زكى) وراءه فى ضوء المشعل . وأدرك أنها كانت غرفة مكتب يوماً ما .. شعر بأنه يتعثر فتوازن بسرعة . وفى اللحظة التالية كان يحدق فى جمجمة تضحك ضحكة الموت الماجنة فى وجهه .. أطلق صرخة وتراجع ..

- « هذا (فريتز) للبهين ! »

قالتا (درنشر) ضاحكاً وهو يخفص المشعل لينير تلك الجثة جثة عليها أسمال يبدو أنها كانت ثياباً عسكرية

رمادية يوماً ما .. جوار يد الهيكل العظمى مسدس .. والثقب فى الجمجمة يحكى قصة بليغة جداً ..

- « (فريتز) البدين كان مؤمناً بالفوهرر لذا فضل البقاء هنا عندما سمع خبر موته .. فجر رأسه بمسدسه كما فعل الفوهرر نفسه . إنه ليس الوحيد فلا تخف »

ثم رفع المشعل وواصل التقدم . بالفعل أدرك (زكى) أن هناك أكثر من هيكل عظمى على الأرض ..

كانت هناك صورة قوطية الطابع على الجدار تصور معركة ما من معارك القرون الوسطى ..

اتجه نحوها (درنشر) ورفع المشعل .. اقترب من صورة فارس يضع قدمه على صخرة وينفخ بوقاً . وضع كفه على البوق .. هنا دوى صوت صرير . وبيطاء انفتحت كوة فى الجدار ..

سأله (زكى) السؤال الوحيد المنطقى :

« لو تصورنا أنك وجدت هذا المخبأ .. فكيف عرفت هذا

كله ؟ »

- « هيء هيء .. نحن اليهود لنا وسائلنا هيء هيء .. »

- « وهذه الآنية تعمل بذات الدقة منذ ثلاثين عامًا » .

- « أنت تتعامل مع أئمن دعك من أنسى اتى هنا كل شهر لتأكد من أن كنزى بخير .. »

ثم مد يده حتى الكوع داخل الكوة . وحينما خرجت كان في يده محلد عتيق اشكل - ناوله لـ ( ركى ) ثم أغلق الكوة في حذر ..

مسك ( ركى ) الأوراق وراح يقرأ - كانت مكتوبة بالإنجليزية لكنها مليئة بالرموز ..

رفع عينه فوجد ( برنشر ) ينظر له بخبث . ثم يخرج من جيبه كيسًا بلاستيكيًا ويناولوه إياه :

- « أنصحك أن تضعه في هذا الكيس .. »

- « لن أمزقه .. إتنى أتعامل معه بالاحذر .. »

- « هذه لمصحتك لن تسعد حبيب أخيرك أن هذه الأوراق محدودة بحسب الموصى ' حلد يهودى مذبوع ' »

ارتحف ( ركى ) ولا شعورًا أسقط الكتاب في الكيس وهو يحتمل أن يستر كفيه - منذ اللحظة الأولى شعر بأن منعم

المجلد غير مريح - لكن موضوع جلد اليهود هذا على الأرجح نوع من المبالغات اليهودية المعتادة

قال ( برنشر ) ضاحكًا :

- « كان هذا طقسًا أرادوا به أن يمنحوا الكتاب قوة كلما كان الأمر شرييرًا أكثر أنت تعرف هذه الأمور والآن الشيك لو سمحت .. »

أخرج ( ركى ) الشيك من حيبه وناولته للرجل . ثم أمسك الكيس في حذر مغالبًا شعور التقرز ..

حينما رفع عينه كان يحدق في بصل خنجر عملاق يلتصق بعنقه

نظر في رعب للرجل فقال له هذا الأخير .

- « هل يوجد سبب واحد لجعتك تخرج من هنا ؟ الشيك معى والكتاب مهم جدًا بل بائع الإهمية . كانت جمافة منك لن تأتى غير مسلح .. »

ثم قال بخبث وهو يشير إلى الأرضية .

- « هل حقًا تعتقد أن كل هذه الهياكل العظمية هياكل صباط نازيين ؟ ألم تلاحظ أن بعضهم يلبس ثيابًا مدنية بل حديثة كذلك ؟ »

بعد هذا يظهر اسم (يعقوب البتر) وهو (نكرومانسر) محترف هكذا عني عينك قيل إن الكتاب معه .

الآن تنتقل القصة إلى جو عبري صرف

لقد ترجم للكتاب إلى العبرية عام ١٦٦٤ ، وصار اسمه (سيفر هشاري حالات) أي (كتاب بوابة المعرفة) وهذا يدخل المسرح (ناتن غزة Nathan of Gaza) ساحر يهودي ولد في القدس ودرس التلمود والكابالاه ثم وقع الكتاب الرهيب في يده فوجد أنه يحدثه عن أمور تهمه شخصيًا .

بعد هذا يظهر اسم (دي) الساحر الشهير الذي ترجم للكتاب إلى الإنجليزية ثم نُب وثبة واسعة جدًا لتلقى من يدعى (أليستر كراولي Aleister Crowley) وهو أشهر من نار على علم لمن يهتمون بهذه الأمور .

\*\*\*

هل هو نصاب ؟

هل هو خبير في (ما وراء الطبيعة) ؟

هل هو كما يعتبره البعض في العرب التجسيد الحقيقي

-٦-

وأنا ما زلت ساهرًا أفكر ..

إن نور الفجر قد بدأ يتسرب عبر الستائر وهذا أفضل . ما زلت أشعر بأنني لن أموت إلا ليلاً سواء كانت ميتة طبيعية أو غير طبيعية ..

ما زلت أحاول أن أربط قصة هؤلاء الذين ماتوا بقصة (العزيز) ..

لقد أخرج الأسبان العرب من الأندلس ، وكان أن بقيت مجموعة من السكان ذوي الأصل العربي الذين أطلق عليهم اسم (المور Moor) كان هؤلاء الآن موضع اضطهاد وتعذيب محاكم التفتيش ويبدو أن التعذيب جعل بعضهم يتكلم وما قاله كان مثيراً أثار شغف الراهب الدومينيكاني (أولاس فيرميس) ، من ثم حصل بشكل ما على كتاب (بيكروميكون) وترجمه إلى اللاتينية . في هذا الجو بالذات هو محاكم التفتيش كان عمله انتحاراً سرعان ما تسرب الخبر وحوكم الرجل واتهم بالهرطقة وأُحرق يقال إن نسخة من هذا الكتاب محفوظة في مكتبة الفاتيكان وما أكثر الأسرار الغامضة المتوارية في هذه المكتبة

شيطس ، لاحظ إن اسمه الرسمي في كتابات العرب هو (الوحش) ..

بالنسبة لي اعتبره شخصا مثيرا للجدل ، لكنه ساحر (من بحث في عقدة فقد كفر) دعك من أنه شيطاني (Laric بلا ترويق) لهذا أكره سيرته ووجهه المخيف الذي يصالحت في كل صورته لسعداء الحظ الذين لم يروا صورته الأول إنه نسخة محيفة من (موسولينى) أما من لم يروا (موسولينى) فلهم أقدم اعتذارى .. !

(اليستر كراولى) .. !

رغم اسحر المعاصر بالنسبة للعقل العربى . ولد في إنجلترا عام ١٨٧٥ ، وارتحل لي كل مكان في الأرض حرمب ارتد عن مكان من اعلى الوديان إلى أعلى الجبال . تعلم البوذية في سيلان وتعلم سحر القبان وتعلم من بدو لصحرى كتب مائة عنوان تقريبا ، وانه مجموعة أوراق (Laric تاروت) مهمة متداولة حتى اليوم كما أن له مذهب شهيرا اسمه (الشييم Thelema) وكتب أشهر اسمه (كتاب بقاوى) يقال إن أكثره مسروق من (العزيف) ثم مات في الأول من ديسمبر عام ١٩١٧ وتم حرق حشته

مع تلاوة مقاطع من (كتاب القانون) كما أوصى بهذا ، وقد أثار هذا غضب المعتدلين ..

ما يعنينى من حياة (كراولى) هو أنه قرأ ترجمة (دى) للكتاب هكذا قرر أن يتقمص بالكامل شخصية (الخطرد) ، وارتحل إلى شمال أفريقيا فقط ليحوب الصحراء وحده ممرس ذات الخبرة التى عاشها (الخطرد)

جاء عام ١٩١٨ ومعه كن موعده مع السحر الاشوى

يدهشى في تسريح حياة هذا الرجل انه كان مولعا بالنساء برغم إن هؤلاء القوم الراضين في السيطرة على الكون لا يبالون بالنساء على الأرحح يذكرنى الامر بمأسورة البندقية التى لا تنطلق منها الرصاصة الا اذا كانت بلا ثقوب تبدد طاقة الانفجار ، لهذا يغيب على هؤلاء الأشخاص ذوى الكاريزما أن يكون اهتمامهم مركزا حائضا لشيء واحد فقط ، كأنهم أساتذة البوجا أو فرسان النيجا القدامى أو الرهس البوذيين ، إلا أن الامر لا ينطبق على (كراولى) يبدو أنه كان قادرا على الاهتمام بأشياء أخرى أيضا . ويبدو أنه كان يعتبر هذا جزءا من (الشيطننة) المطلوبة للوصول إلى ما يريد



كانت هناك امرأة حسناء تدعى (سونيا جرين) .. وصفها في كتاباته بأنها (يهودية حسناء ممثلة بالحيوية) كانت مطنقة تعمل بتصميم الثياب والقبعات وقد عرفها (كراوسى) وهام بها حب لفترة قبل أن تتركه أو يتركها .

المهم أنها بعد ثلاثة أعوام وجدت لنفسها عريضا كينيا وشابا عرب الاطوار يدعى (لافكرافت) إنه من أهم كتاب العرب الأمريكيين بل أهمهم في العالم كله فلا يمكن مفارسته إلا بمواطنه (إدجار آلان بو) وفي العام ذاته ظهر اسم (الخطرد) لأول مرة في كتابات (لافكرافت)

الآن كنت المرأة تسلى زوجها الأديب البائس قبل النوم بحوادث (أما العولة) هذه ويمكننا أن نتبين بوضوح سم الخطر الذي يصل بين (كراوسى) و(لافكرافت)

فيم بعد رعم (لافكرافت) أنه كان يطلق على نفسه في طفولته اسم (الخطرد) أعنف الآن أنسى أجد صعوبة في تصديق هذه القصة ، واصدق أكثر أن (لافكرافت) لم يسمع عن (الخطرد) إلا عام ١٩٢١ عندما قابل الأخت (سونيا) ..

\*\*\*

نور النهار يدخل كاملاً بلا نقصان من النافذة ..

الآن أستطيع أن أنام .. سأتصل بهم فى المستشفى أخبرهم أنني أصبت بالفالج أو سقطت من الشرفة ، وأن عليهم ألا ينتظرونى اليوم .. هكذا سأنعم بنوم عميق حتى الظهر ..

يقودنى هذا إلى الكلام عن كتاب (إينوخ) الذى تكلم عنه الفتى (فايز) يرحمه الله ..

هذا الكتاب ظهر إلى العالم مترجماً على يد ساحر يدعى (دى) . هذا الرجل زعم أنه التقى بكيانات قديمة مخفية عن طريق هذا الكتاب . قال إنها كانت تستعمل شفرة غريبة ، لكنه وجد حل هذه الشفرة فى الـ (إينوخ) واستطاع أن يتصل بها ، وقد استعمل سحرة كثيرون ذات الشفرة اللغوية ووجدوها مريحة ..

كان الفتى (فايز) يبحث عن كتاب (إينوخ) . معنى هذا أنه مهتم بما قاله (دى) .. مهتم بالكيانات القديمة . ثم سألتنى عن (ناتان غزة) .. معنى هذا أنه فى الطريق الذى يقود إلى كتاب (نيكرونوميكون) .. لا أحد يسأل عن (ناتان غزة) إلا إذا كان يعرف التاريخ الكامل لهذا الكتاب ..

لهذا أتدرت الفتى من عدم الدخول فى هذه المتاهات  
العبرانية ..

ما معنى هذا كله ؟

١ - هناك جرائم بشعة ..

٢ - هذه الجرائم تمس أشخاصاً لهم علاقة بدراسة  
التاريخ أو البحث فيه ..

٣ - دم هؤلاء الأشخاص يكتب رسالة تحذيرية إنها  
الحروف الأولى من عبارة ( عزيف ) ..

٤ - أحد هؤلاء الأشخاص كان يقيماً يبحث عن هذا  
الكتاب

ولكن من جديد ما معنى هذا كله ؟

حقاً لا أعرف - لا أستطيع ربط الأحداث ببعضها . لكن  
انقصة كلها تحوم حول هذا الكتاب الرهيب . لقد ظهر  
أو هو موشك على الظهور ..

لقد حان وقت النوم ..

ثمة مزية مهمة هنا هى أننى لا أحلم أبداً عندما أنام فى  
النهار هذا يعد بنوم مريح باسم - وإلا وجدت الأخ

( الحظرد ) شخصياً مع ( كراولى ) قادمين ليجلسا على  
صدري إلى أن أصبحوا من النوم ..

حان وقت راحة العقل ..

ربما أخبر ( عادل ) هاتفياً بهذا الذى عرفته .  
وربما لا ..

في هذه المرة تراجع أكثر فسقط على الأرض ..

آلمه ظهره من جراء السقطة ، لكنه أدرك أنه تعثر في ( فريتز ) الالمانى . النازى الذى كان أكثر نازية من ( هتلر ) . جوار يد ( فريتز ) المتحللة كان ذلك المسدس الذى بحج به نفسه يوماً ما منذ ثلاثين عاماً .

مسدس عتيق ألمانى . مسدس عتيق ألم ..

وقبضت يده على المسدس .. ترى هل يعمل ؟ هل ما زال صالحاً بعد هذه الأعوام ؟ هل هو محشو . لابد أنه كذلك . هذا مسدس ضابط ألمانى أثناء الحرب ..

لم يكن قد أطلق أى سلاح نارى من قبل . إنه لم يلتحق بالجيش بسبب ضعف بصره . لكن الضرورات تبيح المحظورات .. وهذا الوغد المجنون قائم نحوه وهو يطلق الضحكات ولا يكف عن طعن الهواء ، حتى أن الهواء راح ينزف بغزارة ..

صوب نحو صدر الرجل .. ضغط على الزناد .. بدا له أنه لن يتحرك أبداً .. ثم لان فجأة ..

كان الصوت عالياً إلى حد لا يصدق . لم يتصور قط أنه

إنه كمين مربع ..

و ( درنشر ) يتقدم بالخنجر نحو ( زكى ) .. للمشعل فى يد والخنجر فى الأخرى ، وهو يضحك فى جنون . ويأتى بحركات ( تشريط ) أو Slashing كما لا أجد وصفاً آخر ضربات هستيرية ترسم أقواساً فى الهواء . لابد أن تصيب واحدة منها بطن ( زكى ) ..

هكذا تراجع للوراء محاذراً ..

إن اليهودى محبوب فعلاً . إنه لا يكف عن الضحك كأنه يعزح كأنها دعابة لطيفة يفيض بها صديقاً .

إن لم تكن كل الهيكل العظمية تحصى الملايين . بعضها كان يخص حمقى آخرين أرادوا شراء الكتاب . لو هناك هو ( زكى ) الآن فلن يحده أحد ، ولن يستطيع البروفيسور ( هاتون ) أن يثبت شيئاً . فقط قبل أن يتبين اختفاؤه يتجه ( درنشر ) إلى المصرف ويصرف الشيك أو يكلف أحدهم بذلك .

هجمة أخرى مربعة ..

يحدث كل هذا الصخب لقد تساقط الغبار من سقف الحجرة وبدأ أن الصدى لن يتوقف أبداً إنها الطبقة الأولى التي تسمع هنا منذ نصف (فريتز) رأسه منذ ثلاثين عاماً

لكن الرجل كان قادم وهو لا يكف عن طعن الهواء هكذا وحده المعدس من حديد . وصفت على الرصد ثانية

في هذه المرة حدث شيء ..

لقد طار الرجل في الهواء ليسقط على ظهره على بعد مترين وهمت حركته تماماً المشعل الوهاج بحواره على الأرض ..

نهض (ركي) واتحه نحو الرجل الراقد لم يرد أن يحارب ، لذا أطلق طبقة أخرى في الموضع ذاته

فكر في أن يسترد الشيك لكنه لم يجسر على لمس الرجل كان منوط بالموت وأية لمسة يمكن أن تنقل لك العدوى هذه من قوانين (البو Tahoe) الشهيرة

هكذا عاد الغرفة الرهيبة مشى في العمر حتى خرج من الباب أياها هناك درجات تقود لأعلى ثم فتحة صغيرة في السقف يمكنك أن تخرج منها لتجد أنك في معر آخر

تنظر لقدميك فلا ترى الفتحة التي خرجت منها لأنها مغطاة بذات نوع الصخور التي على الأرضية ..

الآن يرى معر آخر قده إلى خارج الكهف . واستطاع أن يفهم سبب سرية المكان إنه موصل ببوابة حديدية عليها إنذار من البلدية لأن هذا الكهف خطر وممنوع دخوله طفا هم لا يعرفون أن هناك مقراً كاملاً للنازيين تحت أقدامهم لم يحاول غلق البوابة التي ثبت عليها جنزير حديدى ثقيل ، لأنه خشى أن يضطر إلى العودة لسبب ما ..

لكنه لن يعود لأى سبب ..

هذه منطقة أقرب إلى سفح جبل تحيط به الأشجار الكثيفة السيارة العتيقة واقفة هناك ، ويبدو أنها قطعت طريق متعرجاً مرهق غير ممهد قلبه يتوالت كطبل في صدره المفاتيح ' ماذا عن المفاتيح ! لن يعود لتفتيش حيوب الجنة .. أبداً .

نظر داخل السيارة فرأى المفاتيح معلقة . حمداً لله ! كان (درشر) مطمئناً تماماً إلى أن المنطقة قعر

كان يلبس انفازين عند قدومه ، لذا أعاد لبسهما وأدار



المحرك كان عسير التشغيل . طبعا لابد من هذا .  
السيارات لا تعمل أبدا عندما يكون الغرض منها هو  
الهرب . سوف تظل عنيدة إلى أن يأتي أحدهم ويدخل رأسه  
من النافذة . شبح الرجل ! لا . ليس بهذه السرعة .

حاول عدة مرات . جرب أكثر الحيل التي يعرفها . في  
النهاية استحاب المحرك . وتصاعد الهدير المحبب للنفس ..

وانطلق (ركب) بالسيارة . تحربة طريفة هي . أن  
تقود سيارة رجل قُتِلَته في منطقة لا تعرفها في  
(سالمبورج) وفي جيبك كتاب شيطاني مجلد بجلد الموتى !

أي كابوس هذا !

يمشي بالسيارة فوق الآثار التي رآها من قبل . في  
النهاية يرى طريقا ممهدا ..

هكذا راح يمشي على غير هدى . يقرأ أسماء على  
لافتات تتحدث عن قرى لا يعرف عنها أي شيء ..

في النهاية رأى ما كان يبحث عنه . الفلاح النمساوي  
العجوز ذا الشارب الكث الذي يبقل تينا إلى عربة صغيرة  
تقف إلى جوار الطريق . هكذا سأل الرجل عن الطريق

فأرشده .. وقد ضل طريقه عدة مرات حتى أنه تعجب من  
عبقريته الرجل الذي استطاع المشي في هذه المتاهة  
(الكريبتية) ..

فقد السيارة حتى اقترب من المدينة نوغا شم وجد  
مجموعة من الأشجار فقادها إلى هناك وتركها ..

ثم عاد راجلا . وكان معنى هذا أن يمشي ساعة .

كان يعرف أن الشرطة ستجد السيارة .. لكنهم لن يجدوا  
الرجل .. لن يجدوا بصمات ..

عامة لا يوجد أي شيء يربطه به (درنشر) إلا أن يكون  
الرجل ثرياً أخبر زوجته أو أصدقاءه بوجهته قبل  
التحرك .. أو أن يكون موظفو الفندق قد تذكروا وجه الرجل  
جيدا . هذا صعب لأنهم مشغولون جداً دعه من أن أحداً لن  
يسألهم .. ..

الأهم هو أن مهمته العلمية قد انتهت .. سوف يكون في  
مصر بعد يومين ..

وللمرة الأولى بدأ يشعر بالحنين لمصر . لقريته ..  
لأصدقائه ..

لقد شفه كتاب (بيرونوميكون) من عقدة الخواجة  
للأبد وهذا يعنى أن للكتاب قدرات حارقة برغم كل  
شئ ..

\*\*\*

« لا أعرف السبب لكنك تغيرت .. »

قالت (حاسي) وهما يقفان على ضفة نهر (سالتسناخ)  
متقاربي الرأسين لكنه لم يرتبك من الطبعي أن يتغير  
وقد حانت ساعة الفراق إنه نوع من (انتحال العطفة)  
كما يصنع الممثلون القطرة لجيدوا في مشهد اليكء .  
أو كم يحلس المرء حزين مهموما في سرائق انعراء لأى  
فريق الاهلى حسر الكأس في مباراته الاخيرة

قال لها :

« عندما يفارق المرء أجمل وارق فتاة عرفها لا تتوقعي  
أن يرقص طرباً »

تعانقت أناملهما وأدرك أنها تحبه حقاً ما لم تكن  
تتمثل للعاطفة بدورها ..

قال لها بصوت رخيم :

« أنت في وجداني دائماً . لا أعرف إن كنت سأحصل  
على الطلق أم لا لكني سأحاول هذا . »

« خذ وقتك . من يدري ؟ ربما أزور مصر هذا العام ! »

أراد أن يصرخ (كنه إلا هذا) ثم ابتلع لسانه . لو  
جاءت لكنت فضيحة ..

لكنه يحبها بالفعل .. وسوف يتزوجها في أقرب فرصة  
لكنه لن يقيم معها في مصر . لا يريد أن يراها بلا خلفية  
من القصور القديمة والعابات وموسيقا (موتسارت) ..  
لا يتصور أن تكون خلفية صورتها هي (باب اللوق)  
أو (العتبة) سيقم معها في (النمس .) الممس ! لقد  
صارت منطحة للأبد بهذه الذكرى الرهيبة . لن يقدر على  
الحياة من أبداً والأمسوا أنه يشعر بأن الشرطة تلاحقه .  
سوف تحبط به ألف سيارة في أية لحظة ويخرج رجال  
الشرطة المخيفون الذين لم يتخلصوا بعد من طقوس  
(الجستابو) ..

ربما بلد ثالث ؟ لا يعرف ..

المهم مؤقتاً يجب أن يرى مصر وقريته . بعدها يعرف  
ما يجب عمله ..

\*\*\*

جلس فى المنترال يحاول طلب الرقم للمرة الألف ..

كان قد أصيب باكتئاب مزمن ، ولم يعد يطبق أى شيء ، حتى أنه تساعل عما إذا كان أحسن صنعاً برحلة النعسا هذه . كان يتشاجر مئات المرات يومياً ، ويصبيه الذهول من كم الزحام والبيروقراطية وصعوبة عمل أى شيء . حتى ركوب سيارة أجرة عمل معقد يحتاج إلى تخطيط وحظ حسن .

لكنه كان يريد إتمام هذه المكالمة ..

لابد أن يعرف من ( هاتون ) ما يجب عمله بهذا الكتاب الرهيب الذى يحتل حقبة من حقائبه هذه الحقيقية صارت رمزا فى حد ذاتها نوعاً من ( التابو ) .. ثم زحف ( التابو ) ليشمل غرفة المكتب ذاتها وسوف يزحف ليحتل الشقة كلها ..

يجب الخلاص من هذا الكتاب اللعين بأى ثمن . كتاب ملئ بالسحر الأسود ، تم تحليله بجلد الموتى ، وقد اكسب الحصول عليه أن يرتكب جريمة قتل !

انه الشؤم ذاته لو كان للشؤم وزن .. ولولا احترامه

لأستاذة لتخلص من هذا الكتاب فى المرحاض مع شمد السيفون ، ثم مكب زجاجة كاملة من حمض ( الكاربونيك ) للتطهير ..

- « الأخ الذى يريد الاتصال بالتجلى ! كابينة ٣ »

دوى صوت الموظف عبر مكبر الصوت . فهرع إلى الكابينة . كانت هذه هى طريقة الاتصال بالخارج أو بمحافضة أخرى فى تلك الأيام .. أغلق الباب الزجاجى عليه وانتظر حتى جاء صوت الجرس ثم سمع صوتاً بريطانياً وقوراً يسأل عما هناك .. ..

- « البروفسور ( هاتون ) من فضلك »

قال الصوت بنهجة أكسفوردية عظيمة جداً لا تخرج إلا من فم تشويحه بريطاني :

- « أخشى يا سيدى أن سيدى البروفسور قد توفى منذ أسبوعين .. أخشى أنها نوبة قلبية لو كان لى أن أقول هذا أن رئيس الخدم هل يرغب سيدى فى الحديث إلى لوملة سيدى .. مصر ( هاتون ) ؟ »

هكذا جلست وسط عشرات الأوراق ..

لقد حاءتني تلك الأوراق التي وجدوها في درج الصحفي الشاب ( فيز ) تلك الأوراق التي حسب ( سامح ) أنها خرائط سرية لأدق المواقع الأمنية في مصر .. في الحقيقة كانت أول نظرة تطلعك على كلها .. إن النجمة الخماسية ( بتجرام ) واضحة كالشمس في أول صفحتين . دعك من عشرات الاشكال التوضيحية والتخطيطات التي تعطى الأوراق نكهة ( غفاريية ) مقبضة ..

طبعاً كان النص بالعبرية لا شك أنها ترجمة الأخ ( ناس غزة ) كما هي منذ القرن السابع عشر إذن هذا الكتاب بين يدي هو ( سفير هاشاري حداث ) ذاته

لست شعوقاً على الإطلاق بقراءة المكتوب أو فهمه ولو حاولت لن أهم شيئاً على الأرجح لكن الملحوظة المهمة هي أن النص ليس كاملاً . آخر صفحة توحى بذلك ..

إذن أين الباقي ؟ يسهل افتراض أن الباقي في درج الصحفي ، لكني لا أعتقد هذا . أعتقد أن ما وصله كان

ناقصاً ولعله كان يتحدث عن كتاب ( دي ) ( اينوخ ) بحثاً عن معلومات تقوده إلى الباقي أو إلى فهم الموجود هنا

السؤال المهم التالي هو : من أين حصل الصحفي على هذه الأوراق ؟ يصعب افتراض أنه سافر إلى ( غزة ) ونحن في نروة الحرب بيننا وإسرائيل .. لم تكن اتفاقات فك الارتباط قد بدأت بعد ..

هكذا فتحت خزانة الثياب ووضعت فيها هذه الأوراق ..

\*\*\*

قال ( عادل ) في حرج :

- « تعرف أننا ضيفان ثقلان يا سيدتي .. لكني أكرر أن هذا التعاون معنا قد ينقذ كثيرين .. »

قالت مدام ( فائق ) وهي تضع القهوة على المنضدة الرخامية :

- « لا مشكلة يا سيدى أعرف أن ( زكى ) كان سيرحب بكما لو .... »

وانعجرت في البكاء مما جعلنا تبدو كوغدين جاءا بضايقان هذه الأرملة الباسلة ..



كان ( عادل ) قد جاء القاهرة وعرف منى تفاصيل القصة التي استتجتها حتى ذلك الحين . كان الحل الذي توصل إليه هو فحص أوراق ( زكى ) هذا . ليكن . لكن كيف أذهب إلى تلك الأرملة لأقول لها إننى أشك فى أن زوجها لديه نسخة من كتاب شيطانى ، فتسمح لى بالدخول للبحث فى مكتبه . لكن مع ( عادل ) لا توجد مشاكل . لقد اتصل به ضابط كبير فى مديرية أمن القاهرة وأوصاها بنا . لقد وافقت على أن نفتش بشكل ودى دون إذن من النيابة .. هكذا تجدنا الآن جالسين فى صالونها لا نعرف ما نقول

كنت قد قدرت نوعية هذه المرأة من اللحظة الأولى . ربة البيت الفاضلة لعلها قريبة ( زكى ) التي لا تعرف شيئاً فى الحياة سوى بيتها . طراز المرأة التي تساعد زوجها فى رسالة إلى أن يرقى أعلى السلم الاجتماعى ، فقط ليتركها من عل ويتزوج فتاة تناسب مستواه الاجتماعى الحديد . طبعا يتضح أن هذا خطأ عمره ، وتتمكن الفساة من جعله يلحق التراب . وهى عدالة شعرية لا بأس بها

هى ترتق جواربه .. بالتأكيد ترتق جواربه . لابد أنها ركعت على ركبتيها أمامه صبيحة يوم مناقشة رسالة الدكتوراه

كى تلعب حذاءه مرة أخيرة . لأنه لو لمع حذاءه بنفسه لتكسر قماش السروال ..

الآن قد ذهب سيدها . لهذا هى فى حالة انعدام توازن تام . كالثوب النقطع حبله . ولو لم يكن هناك أخ أو أب يحل محل ( زكى ) فانها ضائعة لا محالة .

فرغ ( عادل ) من ارتشاف القهوة . فقال لها

« هل لنا أن نرى الغرفة ؟ »

نهضت واقبلتنا عبر شقة بسيطة لكنها آية فى النظافة إلى غرفة مكتب مرتبة بعناية . حقاً كانت غرفة تناسب أستاذاً جامعياً بكل تلك الكتب القيمة فى كل مكان . على الجدران صورته التى تقول إنه لم يكن يشبه ( أبوللو ) كثيراً .. ربما هو يشبهنى إلى حد ما ..

على المكتب كانت أوراق كثيرة ، لكن مجموعة منها بدأت كانت متماثلة الحجم والشكل . وهى أقرب إلى كتاب لم يطبع بعد . تفحصت الأوراق فوجدت أنها مكتوبة بالإنجليزية . هذه المرة لا يوجد شك فى الأمر . إنها أوراق من كتاب محرر قديم . نوعية الأوراق التى كانوا يحرقون فى القرون الوسطى لو وحدوها عندك

كانت الأوراق منسوخة كأن كوبا من الككاو تسكب فوقها ،  
ويبدو أنها عوملت بقسوة شديدة .. لكنى أدركت أنها نسخة  
رنكو عرافية من كتاب الهوامش تدل على وجود حيطة .  
إذن هو كان يستعمل هذه النسخة للدراسة أما الكتاب  
الحقيقى فغير موجود

سقطت صورة على الأرض . صورة امرأة على  
ما يبدو .. فاتحنت الزوجة تأخذها ..

أشار ( عادل ) إلى الأدراج فى المكتب وقال

- « هذه الأدراج .. »

- « ليس المفتاح معي . »

قال لها فى شيء من الخبث :

- « أقترح أن تجدى نجاراً بهشم هذه الأدراج . من  
أدراكها أنها لا تحوى مالا أو وصية ما ؟ »

قالت فى نفاد صبر :

- « سأفعل هذا لكن فيما بعد . لست راققة المزاج

الآن .. »

وجدت على الدرج ملفاً من البلاستيك ، وعلى غلافه  
قرأت بالإنجليزية ( دراسة مصطفى أبى زينة ) .. عرضت  
الغلاف على ( عادل ) فى صمت .. هذا هو فيما أعرف أول  
دليل على وجود علاقة بين أربعة القتلى . ونظرت للزوجة  
متأمللاً فقالت فى ضيق :

- « أى شيء . خذا أى شيء تريدان .. كنت سامح  
هذه الأوراق للجامعة على كل حال .. »

وتحسست رأسها كناية عن أنها أصيبتها بالصداع

هكذا قررنا أن علينا الرحيل الآن . شكرناها وإن كنت  
أعرف أننا سنعود حتماً لنرى محتويات ذلك الدرج .

\*\*\*

جلست خلف مقود السيارة وحلست ( عادل ) جوارى  
وقبل أن يتكلم رحت أقلب أوراق الملف . ثم هزرت  
رأسى .

مائلتى ( عادل ) :

- « هل من شيء مهم ؟ »

قلت في شيء من التفهيم :

- « استنتاجات بشأن العشرين شيطاناً ! »

— « هل تُحزح ؟ »

« نَسَم بِأَنَّهُ هَذَا هُوَ الْمَكْتُوبُ شَرَّ يَفْسُتِ »

« وماذا كُتِبَ تحتَ هذا العنوان العجيب ؟ »

## رحمت اُقرأ بصوت عال :

Find out how to get the latest information on

\* uxvuioumklm

قال في غيظ :

« هل تسخر مني ؟ »

— « لا سمح الله هذا هو المكتوب حرفيا أعقّد أنا

يصدد نوع من اشقرة مفتاحها لا يعرفه إلا الغتيلان<sup>4</sup>»

لكن النصف لم يكن مشهورا كله اعتقد انه مبفر فقط

## الأجزاء الخطيرة ..

قَالَ لِي (عَلَّامٌ) وَهُوَ يَنْظُرُ فِي سَاعَةِ:

– " لا وقت لدى هذه الأمور لأن عدي مواعيد مهمة

أعتقد أنني سأتزك مع هذا الهراء الذي يروق لك هل  
يمكنك أن توصلي إلي (الهرم) ؟

هزرت راسی . و ان کان یصعب القول انشی رددت علیه  
کان ذهنی یفکر فی ألف شیء ..

وحينما وصل (عادل) إلى وجهته قال لي شينا مثل

« ا.. ا.. اوما . بکھل صل .. ہرک .. »

ہرگز راسی موافقہ و اس کنت لم امیز شیبا مما قال  
وانطلقت بسیرتی ثم قررت بعد قلیل وأنا أسمع صوت  
الصدی فی ذهنی أنه قال علی الأرحح ( اقرأ ثم کور رأیک  
علی مهل .. وسأصلک ) ..

ففي البيت رحت أتعحص الأوراق التي وجدتها لدى الدكتور ( زكي ) يرحمه الله . كان ترقيعها ينتهي عند رقم معين مع عبارة لم تستكمل بعد . هذه الأوراق ناقصة لا شك في هذا . اتوقع هذا لأن العثور على ترجمة ( دي ) بكتاب ( نيكرونوميكون ) ليس سهلاً ..

ثم حطرت لي خاطر اتجهت إلى خزنة الثياب و أخذت الأوراق التي كانت لدى الصحفي (فايز) رحمه الله . ورحبت

راجع أرقام الصفحات فهمت أن الحرائين يكمل  
بعضهما وإن كان أحدهم بالقصرية والآخر بالبحيرية من  
موصح (دي) استعمل أسلوب الترحمة صفحة  
بصفحة لكن نص ليس كاملاً لنص الإبحري سوف  
يكتمل بجزء آخر ..

حدث نفسي بعض الشيكولاته السادة ورحلت اضاع  
عدد الأوراق رغبة ثم فهم شيئا على الإطلاق ولعله  
خطئ الحسن .. إن الكتاب معقد بحق ..

هنا وصف الحرائين في حرائتي وحسنت أكثر في معسى  
... محاولة جديدة لاسترجاع كتاب لم يحده أحد  
من قبل بمسألة أسماء مربية مثل (باتيان عزة) و(دي)  
(وكتريسي) وهذه المحاولة نعم في مصر بدأت

نفس ... شخص كنت أن لرحلت الأخرى (يوسف)  
(مصطفى) لبيها حراء الحرائ من كتاب لكن هل  
هذا ينهي الأمر ؟

نفس ... أنا كنت اضطرب حتى يصل بي (عادل)  
بعد ساعتين .. قلت له :

.. سمع ... يوسف ... (بو الحسن) و مصطفى

أوريه ) أريد من يفتش أوراقهم اعتقد ان لديهما  
أجزاء من هذا الكتاب ..

قال مفكراً :

.. هذا صعب لكنه ليس مستحيلاً سأحاول ترتيب  
هذا ..

ثم أضاف :

.. « لكنا نريد نتائج لو لاحظت لوحده ن مديرتي  
من القاهرة والاسكندرية تدعون هذا بذلك على أهمية  
الموضوع فلا تنسني إلى أن القتل عفيف أو شبح من  
فضلك ! »

.. « سأحاول لكني لا أصغر النتائج بالمسألة أنا أدعوك  
إلى الغداء معي ما دمت في القاهرة .. »

اتفجر بضحك وضع يده على قلبه ثم قال :

.. « لا تدعوني أذهب الناس » ما دام الموضوع حائياً  
من قصة الأثري فمن الخير لك لا تحاور لا أريد أن  
أصود و فطر على ضهي للاح (رفعت اسماعيل لا أريد  
أن أموت بسرطان المعدة بهذه السرعة .. »



قلت في كبرياء :

« بالعكس .. أنا أظهو مكرونة ممتازة .. »

قال ضاحكاً :

« لا تشغل بالك بي .. رب طبق كشرى من أية عربية  
تقف في أى زقاق خير عدى من مكرونتك هذه . »

« متموت مسموماً بإذن الله .. »

« على الأقل لن أموت منتحراً .. »

وصعت اسماعه وبدأت إعداد المكرونة القتلة التى  
سأكلها أنا فقط ..

- ٩ -

منذ عامين ونصف

حدث هذا منذ عامين ونصف بالضبط ..

فى لوبى أحد فنادق وسط القاهرة جلس البروفسور  
( تشارلز هاتون ) مسترخياً واثقاً من نفسه إنه أستاذ  
الأجيال واسمه يكفى لانجاح أى مؤتمر وقبول أية ورقة  
علمية فى أية مجلة ..

بالنسبة للحالسين من حوله كان الأمر يختلف كانوا  
متوترين يحسمون على أطراف مقاعدهم . وهم يمدون  
أيديهم كى لا تفوتهم كلمة من الرجل العظيم . مع هذا  
الطراز من العلماء تشعر أن تقديرك لداك يتوقف على  
تقديره لك . فلو أبدى عدم اكتراث بك أو لم يبال ، تشعر  
بأنك لست كم حسبت نفسك . من يدري ؟ لربما أنت غبي  
أو أحمق أو عديم التأثير . أليس هذا ممكناً ؟

على الأقل كان أكثر الموجودين راحة نفسية هو د  
( زكى عبد الرزاق ) فانه رجل أستاذه وعلاقته به حميمة  
منذ كان يدرس فى إنجلترا . لهذا كان أقرب الجالسين له ،  
وكان يكنمه بشيء من التبعيض بل جرو أكثر من مرة على

وضع ساق على ساق ، و تعربون عامة لا يرون في هذا التصرف وقاحة ، لكننا نراه كذلك طبعا ..

( هاتون ) نفسه كان شبح مهدم حفيض الصوت . له عيب رمادي لا تثبت على وجهه أبدا . لكنه بلغ ذروة ودية ممتدة من بداية الأمر طورية الذين انقرضوا في الخنجر أو كادوا . عندما انقرض شاي الساعة الخامسة سخن محبه لهمبورجر . وانقرضت مدافع الاسطول لتحل محلها حمولات طائرات الاسطول السادس حتى ثقافة حث ك سيني ( و ( هومر ) بفرصت يحصل منها ( سوبرمان ) و ( ميكي ماوس ) ..

ثلاثة نحاسون هم مع حفظ التخاب ( يوسف ) ابو الحسن ( مصطفى ابو ربة ) دارس تاريخ الكديمين أول جاء من لاسكسرية حصيص لهذا اللقاء الثالث هو ( دير لنت ) صحفي شاب صغير السن جدا

أما من حدد هذه الأسماء فهو د ( ركي ) نفسه كان ( هاتون ) قد طلب اثنين من الدارسين لتأريخ الندين يسافران شيئا في أوروبا وصحفي شابا كان يريده شاب كي يصنع احدا منه و ستمسكه في البحث و يكون غير

دي أهواء شخصية وغير متزوج وكان ( ركي ) قد عرف كلا من هؤلاء الثلاثة في ظروف مختلفة لهذا انصر بهم ليجمعهم في هذا اللقاء أهم ما في الموضوع هو أنه يعرفهم معرفة سطحية لا يريد أشخاصا بقسهم كل يوم لهذا لم يكلف أيًا من رفاقه في القسم ..

أما اللقطة التي أثارت دهشة الجميع باستثناء د ( ركي ) فهي ( هاتون ) لم يبدأ بكلام لا بعد أن تفحص باطن معصم كل واحد منهم كان هذا غريب وقد قسوه في ارتباك وصممو على مناقشة الأمر بعد انصرافهم ، أما الآن من سن انرحر وهنته تسمحان له بأن يفعل أي شيء دون توسع قال ( هاتون ) بصوته الخفيض :

« ليس يدى إلا حراء واحد من هذه الأشياء في ما يدى هو معلومات مؤكدة عن مكان كل جزء »

بأنطع كل الكلام واصحاب احتاج الصحفي الشاب الى ترجمة سريعة ممتدة في أدبه لأنه لا يحيد الإنجليزية جد أردف الأستاذ البريطاني للعجوز :

« ان الأمر حد حطير أنا موقن أن الوقت قد حان لهذا أطلبكم بالتعامل مع الأمر بجدية .. »

ثم نظر إلى ( زكى ) وقال :

- « أعرف أن مهمتك العلمية قريبة سوف ترحل إلى ( سالزبورج ) سوف احبرك بالطريقة التى تحصل بها على الأوراق إن اليهود هناك يعرفون مكانها أو هذا ما أعتقد .. »

ثم نظر إلى ( يوسف ) ( الباحث السكندري الذكى ) وقال

- « أعرف أنك ستكون فى إنجلترا قريباً هناك ستلتقى وعطيك الحزاء الذى عدى . وهو باللاتينية ما كنت لأجأف بالسفر به »

هز الفتى رأسه فى رهبة ..

ثم نظر العجوز إلى ( مصطفى ) وقال :

- « أما أنت فبك ستسافر إلى إيطاليا لتحصل على جزء من ترجمة ( نيوسور فينياس ) انها ثيوتانية سوف احبرك كيف تقبل الركن الذى يملك نسخة منها »

ثم نظر إلى ( شير ) وابتسم فتوتر هذا الأخير

فإن العجوز بينما ( زكى ) يترجم لفتى ما يقال

- « أما أنت أيها الشاب فمهمتك صعبة نوعاً وسوف أخبرك بها على انفراد .. »

سأد للصمت ثم سأل ( يوسف ) .. بكياسة :

- « بروفيسور لماذا لم يقوم بهذه المهمة شخص آخر ؟ لماذا لم تكلف تلميذ بريطاني لك بهذا ؟ »

قال ( هاتون ) بطريقة الواهنة :

- « إن ( الحطرد ) عربى وقد راهنت على أن الكتاب لن يفهمه حق الفهم إلا قارئ عربى يحب أن ينفق على أن هناك جزءاً فى عقولنا له حسية مهما قرأ العربى تراجم تقرأ فى يفهمها كما يفهمها العربى ما لم يصير جزء من عقل العربى عربياً ومهم بلعت إحداثك للتحضيرية فنس نفهم ( شكسبير ) كما يفهمه العقل البريطاني ها هو رهائى الحاص أنتم أقدر من معشر العربيين على فهم ما أراد ( الحطرد ) أن يقوله .. »

ثم اردف وهو يتناول كوب العصير الذى أمامه

- « إن الوقت ضيق لم يعد لدى وقت ولا قوة ذهنية يسمحان لى بهذه الأبحاث المعقدة ، لهذا الفى بالمسئولية على عواتقكم .. »

ثم طلب من الفتى أن يجلس بجواره ، فنهض هذا متهيباً أدنى أدنى من فمه وراح يهمس له .

قال ( زكى ) منبهاً :

- « لا أعتقد أنه سيفهم ما تطلبه يا سيدى . »

- « ليس عندما أتحدث ببطء ووضوح . إن هذا الفتى أكثركم ذكاء .. هذا واضح على وجهه .. »

ثم راح يهمس فى أذن الفتى بما يريد منه مستعيناً بورقة راح يحط فيها أشياء ومع كلماته راح اللون يفارق وجه الفتى حتى صار بلون هذه الورقة لو كانت الطباعة من نوع جيد ..

\*\*\*

عندما عادوا العدى بعد ساعة وقفوا جميعاً فى ميدان التحرير عاجزين عن اتخاذ قرار .

فى النهاية قطع ( مصطفى ) حو الصمت قاتلاً بلا كيسة :

- « هذا الرجل مجنون ! »

ثم رأى أسطورة المذرة فى عينى د ( زكى ) فتحفظ قليلاً .. لكن ( زكى ) قال فى برود :

- « أنت تقول هذا برغم أنك باحث وتعرف قيمة الرجل . لو قال هذا شاب طائش مثل ( فايز ) لقبيلته . »

قال ( فايز ) فى حدة :

- « أنا لست طائشاً .. »

قال د ( زكى ) بنهجة من لا يريد فتح جبهتين فى آن واحد :

- « لم أقصد الطيش . أقصد أنك لم تحصل على دراسة أكاديمية ، وليست لديك أدوات البحث التاريخى مثلنا هذا الرجل كمبيوتر بشرى ويعرف ما يقول . أعتقد أن آخر جزء ستدب إليه الشيوخوخة فى جسده هو عقله هذا العقل لن يخرف أبداً إما أن يعمل أو يتوقف لا يوجد حل وسط . »

قال ( يوسف ) وهو يركل حجراً صغيراً على الأرض :

- « وموضوع فحص معصمنا . بدالى هذا غريباً »

قال ( زكى ) فى حماس كعادته كلما تكلم عن الغربيين :

- « إن لديه أسباباً قوية عرفتھا منه سوف تعرفون هذا وأكثر فيما بعد . إن هؤلاء الغربيين لا يمزحون بلا



مما سببه ولا يلتقون الكلام على عواصمه . لهذا هم يحكمون العالم .. »

وفكر قليلاً ثم قال :

« هذا الرجل جلس طويلاً مع ( كراولى ) . وسمع منه كثيراً . نحن نعرف أن ( كراولى ) هو أقرب البشر معصريين لهذا الكتاب . وقيل أنه كان يملك ترجمة ( دى ) دمة . لا أحد يعرف . لكنى أردت أن أقول إن معلومات البروفسور دقيقة على الأرجح .. »

فإن ( مصطفى ) وهو بنحاشى عيسى ( ركى )

« مصرحة » من ميثم من ينوى الاستمرار فى هذا الموضوع ؟ »

قال الفتى ( فايز ) فى حرج :

« لا أعرف . أن ما كلفنى به صعب جداً . يوشك أن يكون مستحيلاً »

قال ( يوسف ) :

« ما من منافع فى فعل شئ حتى سافر فى تلك البعثة . كل مهمتى مهلة نصيباً .. »

كان الأمر يبدو لهم سخيفاً جداً وحميماً جداً . وقد قرر أكثرهم أنه ينوى الانسحاب بلا اعتذار . أم عن ( زكى ) نفسه فبته صدق أو لا تصدق كان آخر من يهتم بهذا الموضوع . فقط كان يعرف شيئاً واحداً . إنه مخلص للرجل إلى أقصى حد وسوف يفعل كل ما يطلبه منه . لهذا سيعقد المهمة بدقة .. لكن عليه أن يتبع هؤلاء كذلك لأنه من أتى بهم .. بالتالى هم مسئوليتهم ..

فيما بعد سوف يتسنى الجميع الأمر ..

لن يتذكروه إلا يوم يعود ( ركى ) من ( سالزبورج ) بالكتاب الرهيب . يوم يعرف أن أستاذه البريطانى قد مات . عندها سيعرف أن المهمة صارت على عاتقه هو . سوف يتصل بالآخرين ويخبرهم بما عرفه . من ثم تتحرك القصة من جديد ( يوسف ) . سوف يذهب إلى إنجلترا . لن يقابل البروفسور طبعاً لأنه مات ، لكنه سيقابل أرملة ولسوف تعطيه أوراقاً كتبت باللاتينية

( مصطفى ) سوف يذهب إلى إيطاليا حسب تعليمات الرجل المكتوبة ، ليأخذ الجزء المترجم إلى اليونانية من الكتاب ..

-١٠-

بعد أسبوعين صار عندى ملفان اخران . واحد كتب باللاتينية والآخر كتب باليونانية ..

وقد بدأت أدرك أنتى كنت محق . بالفعل أرقام الصفحات تكمل بعضها . ويا له من شعور رهيب عندما تدرك أنك تحدد فى ترجمة ( تيودور فيليتياس ) أو ترجمة ( فيرمياس ) قرون عديدة مضت على هذه الأوراق وتم تناقلها من يد ليد خلسة . هي الآن فى يدك أنت بالذات ..

لكن ما الذى نخرج به من هذا الكتاب بفرض أنه صحيح ؟

ثم خطر لى خاطر آخر رهيب ..

هؤلاء ماتوا بتلك الطريقة الشعة لأن كلاً منهم كان يحتفظ بحزء من الكتاب . لا أعرف من قتلهم ولا الغرض . لاحظ أننا لم نسمع عن مينة معاملة لكل من امتلكوا الكتاب فى التاريخ . ولا لكان ( دى ) أو ( كراولى ) أجدر منى بهذه النهاية . ربما كانت لغة الكتاب تصيب الأبرياء فقط .. أى الأشخاص غير الملغومين أصلاً .

إذن ماذا عن مصير من يمتلك الكتاب بالكامل ؟

( فايز ) سيقوم بتلك المهمة الرهيبة التى لم أعرف تفاصيلها فى ذلك الوقت لأنه لم يترك أية مذكرات ( لهذا أتركها لخيالك الآن ) مهمة تحتاج إلى شاب باسل غير دى أهواء شخصية وغير مستزوج وصحفى مهمة مدفها الظفر بترجمة ( ناتس غزة ) أى كتاب ( سيفر هاشارى حداث ) شخصياً ..

هكذا صار لدى كل منهم جزء من الكتاب ..

ترى ما الذى عرفوه ؟ ما الذى وصلوا إليه ؟

هذا هو ما أريد معرفته بشدة ..

وشعرت بما بقي من شعر رأسى ينتصب ..

نعم لو صبح توقعى فأنا المرشح الأقوى الآن لهذا ..

ربع كتاب كان كافياً لانتزاع القلب من الضلوع فماذا عن الكتاب كاملاً ؟

هنا دق جرس الهاتف فوشت مترين فى الهواء ، ونمسي قلبى أن يذق عدة ضربات ثم نهضت فرفعت السماعة ليصلنى صوت ( عادل ) يقول :

« لقد فتحت الزوجة درج زوجها »

« أبة زوجة ؟ »

« ( فاتن ) .. »

« زوجة من ؟ »

« زوجة د ( ركى ) يا أبه هل أصبت بتخلف

عقلى ؟ »

« أصبت بماذا ؟ »

هنا انفجر فهو لم يعد يتحمل أو كما يقول العرب لم يعد

فى قوس الصبر منزع .. وقال فى غيظ :

« أنت قد جنت تمام على كل حال وجدنا مذكرات الدكتور وهى مهمة بحق سوف تصلك نسخة منها حالاً لقد اتصلت بهم فى مديرية أمن القاهرة أرجو أن تقرأها وتخبرنى برأيك .. »

« أخبرك بماذا ؟ »

لكنه وصع السماعة كى يتجيب سماع أكثر .

بعد ساعة دق حرس الباب فأتته لأشغله كان هذا هو مساعد الشرطة ( شوقى ) الذى تحول عمله إلى إحضار الملفات لى شكرته فوقف يلهث طالباً كوب من الماء ، وفكر للحظة فى أن يصاب بنوبة قلبية ويموت على بابى ثم عدل عن هذا التصرف غير المهدب ، وحياتى وانصرف

وفى الداخل جلست وتفحصت المذكرات إنها تقع فى حوالى مائتى ورقة تحكى بدقة ويحط نضيد أكثر ما يحدث لمرجل ، على أن أهم ما وجدته كانت ذكريات رحلته إلى اسمس هذا الجزء ألقى الكثير من الضوء على القصة

هذا نموذج من أربعة يحكى كيف حصل أحدهم على الجزء الخاص به من الكتاب لقد تورط الرجل فى القصة بعد موت أستاذه البريطانى لم يستطع التخلص من الأوراق ثم

وحد أنها تضم أشياء مهمة فعلاً هكذا اندمج في القصة إلى درجة أنه لم يكن يفرق غرفة مكتبه أبداً لا يوجد دليل في المذكرات على كونه كان على اتصال بالثلاثة الآخرين في أيامه الأخيرة يبدو أن كل واحد منهم رح يبحث بشكل منفرد لكنهم لم يلتقوا قط لتبادل الخبرات

تري هل عرف كل واحد منهم أن الباقين هنكوا ؟  
لا أعرف .. إن الأخبار لم تدع في الجرائد ..

( إن احيران يمشون بطريقة عجيبة هذه الأيام إن أصوات خطواتهم تبدو كأنها آتية من غرفة النوم منذ اسبوع سمعت أحدهم يمشي فوق رأسي عندما لي كأنما يتدرب على الوثب فوق موخرته )

كان العباس قد تسرب لعسى فقررت أن أنام بعض الوقت ثم أعود التفكير أو أتحدثه

هنا دق جرس الهاتف بالحاح شديد ..

اتجهت نحوه متثاقلاً رفعت السماعة ..

كان المتحدث يتكلم بالاجيرية الحنيرية امرئكة واضحة .. وعرفت الصوت على الفور :

« د. د. ( رفعت ) .. أنا ( سام كولبي ) !! »

( سام كولبي ) ؟ الساحر النصاب النيويوركي واليهودي مريض البروستاتا الأبدى لكن هذا الجرس ليس طويلاً كأجراس المكالمات الدولية .. إن ..

عند صوته يصيح :

« أنا هنا في المطار مطار القاهرة ! اتصلت بك قبل سفري لكنك لم ترد ! »

( سافعل هؤلاء الجيران قد تجاوزوا الحدود )

قلت في غباء وبلا شبهة ترحاب واحدة :

« ماذا أتى بك هنا ؟ »

قال في عصبية :

« لا وقت للشرح فقط أريد منك أن تعاد البيت حالاً !

لا تدخل غرفة نومك بأي ثمن !! »

عدت أسأل بذات الغباء :

« لماذا ؟ ما الذي ؟ »

« أترك البيت حالاً . ابق وسط العاس ! إنه ينتظرك

في غرفة النوم الآن ! »



اليوم قررت ( علياء ) أن تقتل زوجها ..

لا تَقْلَقْ هذه هي المرة العاشرة التي تعتزم فيها شينا  
كهذا أما في حياها فقد قتلته فعلاً ألف مرة ..

فتحت الدرع وأخرجت المسدس الأبيض الصغير وحشته  
بالرصص ثم راحت تنظر إليه في توجس كأنه ثعبان  
بعد دقيقة أعطت الدرع وهمست من بين أسنانها -

« It's awful ( هذا لا يطاق ) »

ثم وقعت في الشرفة المطلة على البحر ، وأخذت شهيقاً  
عميقاً لتهدأ نوبة الهستيريا قادمة لذا راحت تتنفس  
بمرعة أنفاساً قصيرة خاطفة ..

\*\*\*

متى قررت أن الوقت قد حان للخلاص منه ؟

إنها من أسرة أرستقراطية لو لاحظت هذا ، وليس القتل  
بالمسلوك شديد التهذيب بالنسبة لهذه الأسرة على الأقل  
ليس موضحة العام لكن أحيات ما تصير الأمور لا تطاق  
بالمعنى الحرفي للكلمة ..

الجزء الثالث

## عشرون شيطاناً

إنهم يعيشون بيننا لكنهم لم يتكاثروا الأمر هين  
بالنسبة لهم يندمحوون بنا ولا يشبحون ثم عندما  
يبدأ من حولهم في التساؤل يختفون ثم يظهر  
في مكان آخر باسم آخر ويبدعون حياة جديدة  
لاحظ أن كثيرين - ومنهم ( كراولي ) نفسه - اعتقدوا  
هذا ..

« It's awful »

مذ عشرة أعوام تزوجت د (محتر) الأستاذة الجامعية المرموق . إنه وسيم نوعاً وعلى قدر لا بأس به من الرقى . الناس موبغة به ويقولون أنه ابن بلد وظريف وتراه هي (too) هذا هو ما وصفته به لأنها

لماذا لم يتزوج من قبل ، ولماذا يبدأ التجربة في سن الأربعين ؟ قال إن الحياة والدراسة لم يترك به الوقت ولا البال الرائق لأمر كهذه .. ثم ..

« هي لخدمة يدرك المرء أنه إن لم يتزوج الآن سيكون وحيداً للأبد .. »

شبهت في رعب :

« Oh! c'est trop ! ( إن هذا لكثير ) ! »

وكيف يتحدثون عن أسره الرأقية الثرية نعم لابد أنه ترى كيف يرتب يمت هذا كله من راتب الجامعة ؟ من الواضح أنه ورث مبلغاً محترماً هي بصا تأخرت كثيراً في الزواج حتى صارت على مشرف ثلاثين ، ولها كانت تعتقد أن الرحيل صير صير تحوم حول ثروة أبيها

أخيراً وجدت الرجل المناسب وتم الزواج وسافرا إلى الخارج في شهر صبل قصير ..

هكذا صارت حياتهم مزدحمة جداً يوصلها للمادى صبح ثم يذهب لعمله في الكلية ، ويعود عند الظهيرة ليتناول العشاء في المادى أو مطعم ما ، ثم يعود بها إلى البيت ويقضى فترة العصر في مكتبه ، ثم يخرجان مساءً أو يزورهما الأصدقاء ..

من لاحظت شيئاً غير معتاد عليه في ذلك الوقت ؟

لا تعتقد المشككة أنه كان مكتملاً مكتملاً بطريقة شير الريبة دائماً هو متأنق دائماً هو لامع دائماً هو حاضر الدعية دائماً هو جاهر للكلام المبطى وهذا شيء بشير الفيظ لكنها تحملته ..

١- تذكرت هناك تلك الوحمة في معصمه إنها موحودة بالصسط في باطن المعصم على ارتفاع ٣ سنتيمترات من المفصل رأيتها مراراً . لكنه يخجل منها بشكل خاص لهذا يحرص على ارتداء قمصان طويلة الكمين ، حتى مناماته لها كمان طويل ، وهي لا تذكر أنها راته مالتيب الداخلية قط حتى حينما ينزل إلى البحر يحرص

على وضع شيء يشبه السوار حول معصمه (علياء)  
هستيرية لكنها لا تعرف هذا عن نفسها . لهذا هي متأكدة  
أن شئك الوحمة يتغير كلما رأتها . نارة تشعر أنها دائرة  
سوداء . ونارة تراها أقرب إلى شعار تحارى فلا ينقصها  
إلا رمز " ونارة هي شعب ينهم ديه أو نجم خماسي  
ربما سداسي ..

لكنها فى كل مرة كانت ترى تلك الوحمة ربع ثمانية ثم  
يغطيها زوجها فى حرج . لهذا كان احتمال أنها تحرف  
واردا . ثم تكن تهتم كثيرا لولا أن هذه الوحمة بدت لها  
سوقية و (بندى) التى حد كبير . وقد اقترحت عليه أن يجد  
جراح تجميل برع يربطها فتتسم وتم يقل شيئا  
ولم يزلها ..

هذا كل ما نعلم حياتها فى بداية الزواج

ثم ينقص عليهما شيء آخر إلا معرفتهما أنها لن تتحب  
كانت هناك مشكلة ما فى العبيصين . أم هو الرحم ؟  
لا تفهم بالضبط ، لكن الطبيب قال إنه من الصعب أن  
تتحب من المستحيل فى الواقع لأن لديها مشكلة عاية فى  
اسفند

- « Oh no Merciful God ! (أه لا يا إلهي الرحيم) »  
وقد ضايق هذا (مختار) كثيرا لكنه لم يتحدث عن  
الزواج ثانية ولم يتحدث عن الطلاق ..  
كل هذه ليست بالأسباب التى تدفعها إلى التدبير لقتله كما  
ترى . خاصة أن القتل كما قلت ليس موضوعة الدم .

\*\*\*

ربما فكرت فى قتله أول مرة عندما حدثت قصة كلبها .  
كتبها الكينى الحبوب (سنوى) كان هو الشيء الأهم  
الذى جاء معها من بيت أبيها . كان شيئا لطيف صغيرا  
لا يكف عن النباح فى وجه الغرباء ، فإذا اقتربوا سقط  
مضنيا عليه من الرعب ..

منذ اللحظة الأولى لم يكن ثمة ود مفقود بين الاثنين  
نروح والكلب . بدا أن هناك مثلث حب يجمع الثلاثة وأن  
السكرين يفران من بعضهما . وكان ظهور زوجها فى أى  
مكان يكفى كي يتوارى الكلب تحت أقرب أريكة وربما يبل  
نفسه من الرعب . أتحدث عن الكلب لا الزوج طيفا  
- « لا أفهم كيف تحبين هذا الشيء البشع »

طيفاً لم تستطع إلقاء اللوم على زوجها ، لأنها لا تتخيل الأستاذ الجامعي الوقور يهوى على رأس كلب بملطة . لكن يظل السؤال هو : من فعلها ؟

\*\*\*

السؤال الثاني المهم هو اليوم الصور الذى لديه ، والذى عرضه عليها أكثر من مرة ..

اليوم غريب هو لا يضم صورة أم أو أخ فقط صور أصدقاء وصور أجداد . الطريف هو أن كل أجداده منذ احتراع الكاميرا لهم ذات الوجه . فقط تتغير الثياب حسب الظروف طربوش . ثياب الأربعينات نفس الوجه لاشيخ ولا يتبدل هل صفاته الوراثية بهذه القوة ؟

بالمناسبة لماذا لا يشيخ زوجها ؟ حتى بالنسبة لها وهى فى الأربعين فقط هناك أكثر من تجعيدة وأكثر من شعرة بيضاء لأن السنين لا تمر من دون أثر . أما هو وهو فى الخمسين من العمر فمن المفترض أن تبدو التغيرات أكثر .

لماذا يصر على أن ينام وحيداً ولا يسمح لها أبداً بأن تراه أثناء نومه ؟ هناك غرفة اتخذها لنفسه فى البيت وعندما يحين موعد نومه - وهو لا يأتى أبداً إلا بعد نومها

هكذا كان زوجها يقول كلما رأى الكلب . وكانت هى تكفى بظرة باردة قاسية لائمة ثم تحتضن الحيوان الخائف تراجع إلى صدره وهى لا تكف عن تردد :

« Tant pis mon petit. » -

وذات مرة وجد ( مختار ) الكلب يرتجف جوار أريكة فى طريقه ، فلم يتردد فى أن ركله ركلة لا بأس بها أبداً أطاحت به مترين فى الهواء ..

ثم جاء اليوم الذى احتفى فيه الكلب تماماً . حدث عنه فى كل مكان بلا جدوى وقيل إنه سرق أو فر طيفاً كان هذا مستحيلاً لأن ( سنوسى ) لن يفر . إنها تعرفه أفضل من دته ربما لا نعرف الكثير عما ربما نكتشف أشياء عن ذواتنا لم نكن نعرفه ، لكن لا يوجد أى سلوك غير مبرر لدى ( سنوسى ) أما عن احتمال سرقة فنحن لسنا فى باريس لا أحد ينادى بالكلاب هنا إلا لحرها من أعناقها بحبل فى الطرقات دعك من أنها لا تتركه وحده أبداً

طيف أمكنها أن تفهم القصة حينما وجد البستاتى تلك العظم الصغيرة فى حوض الزهور بعد ستة أشهر من الاحتفاء لم تستطع أن تنفى نظرة على الجثة لكن البستاتى قال إن الجمجمة مهشمة تماماً ..



هي - يدخل الغرفة ويغلقها على نفسه من الداخل عالياً ما تصحو بعده لتجده منتصباً متفتحاً يجلس إلى مائدة الإفطار ..

ثم هي تعرف أنه من أسرة أرستقراطية . لكن من هم بالضبط ؟ لم يزرهما أحد قط ولم يتصل بهما أحد وهو الذي تقدم لزوج منهن وحده . كل الناس يقولون إن أسرة ( أبو مندور ) ثرية جداً لكن أى شيء يربط بينه وبين تلك الأسرة سوى الاسم ؟ اسم ( أبو مندور ) شائع فمن قال بالضبط أنه من تلك الأسرة ؟

ذات يوم قبلت في النادي فتاة جميلة وإن كانت تضع المساحيق بطريقة ( بندي ) بعض الشيء اسمها ( عادة أبو مندور ) وقد تطرق بينهم الحديث فعرفت أنها من تلك الأسرة الثرية سئلتها عن زوجها هنا تقلص وجه الفتاة شأن من يتذكر .. وقالت :

- « ( مختار أبو مندور ) ؟ أستاذ جامعي ؟ Pardon حق لا أتذكر هذا الاسم إن أسرته تصمم رجال الأعمال وكبار البحار ولواءات الجيش والشرطة والمستشارين بل إن عندما ممثلاً أو اثنين لكن لا أعرف أى شخص من الصلك الجامعي .. ربما .. You never can tell »

كما ترى لم تزدها هذه المحادثة إلا قلقاً .. يحب المرء أن يتعامل مع شخص له طول وعرض وارتفاع وجذور .. أن تكون لزوجها أم تتشاجر معها وخالة تتضايق كلما جاءت سيرتها .. لكنها تشعر في كل يوم أن زوجها نبت شيطاني ..

شيطاني .. هذه هي الكلمة !

هنا تأتي المغامرة التي لابد منها ، والتي يطلق عليها القصاصيون والسينمائيون اسم ( المشهد الإجهاري ) .. لقد قررت أن تلقى عليه نظرة أثناء نومه ..

أمر عجيب أن يكون هذا مطمح زوجة بعد عشر سنين من الزواج ، لكن الحقيقة هي أنها لم تتمكن قط من ذلك ، وقد بدا لها الأمر غريباً ..

الغرفة تغلق بالمزلاج من الداخل لكن هناك شرفة .. شرفة مشتركة مع غرفتها هي ، التي كان يجب أن تكون غرفتهما .. والشرفة تغلق بشيش . طبعا هذا يسهل الأمور .. كل لص يعرف أن القحام للشيش سهل من الخارج إذا كانت عندك أداة يمكن أن تتسلب في الشق ثم ترفع بها اللسان لأعلى ..

كنت تعني الفراغ وكان عندها كل الوقت لتحصن طريقها ..



كان خائفًا جدًا لكنها شعرت كأنها ستجد الإسكندرية كلها تتصاعل عما هنالك ..

أخيرًا انفتح الباب أكثر .. إنها ترى الغرفة في وضوح تام .. ظلها يمتد أمامها طويلًا مخيفًا وهذا يدل على أنها خططت جيدًا .. النور يدخل الحجرة بالكامل .. سوف ترى ..

زوجها في الفراش ..

تكنو أكثر فأكثر ..

الآن تراه بوضوح تام في ضوء القمر للمعنى البارد القلبي ..

في هذه اللحظة سقطت الأداة المعدنية من يدها ..

كادت تصرخ لكنها لحسن حظها وضعت يدها على فمها في اللحظة الأخيرة ..

الآن فقط فهمت كل شيء ..

هذا الرجل يجب أن يموت ..

هذا الشيء يجب أن يموت !

يجب .

\*\*\*

- ٢ -

قال (كولبي) :

- « كنت أتوقع ألا أجذك في دارك .. كان هذا ليظمنني . لكن الكابوس الحقيقي أن تكون موجودًا وتتجاهل الهاتف ، لو موجودًا وأنا قد تأخرت كثيرًا .. »

كنا جالسين في كافيتيريا صغيرة نرشف القهوة .. (كولبي) لا يشربها لأنها تسبب إدرارًا للبول .. في الواقع هو لم يعد يشرب أي شيء على الإطلاق .

نظر حوله في نهم .. قتاديت النادل وسألته عن مكان الحمام هنا ، ثم أشرت لـ (كولبي) إلى الاتجاه فقال في شيء من حرج :

- « معذرة . أنت تعرف مشكلة البروستاتا .. إنني .. »

.. « أعرف .. أعرف .. فقط لمصرع .. »

هكذا توارى ورحلت أنا أحملني في سطح القهوة الرقراق في القدرح ..

\*\*\*

لم أنتظر كثيرًا عندما اتصل بي ..

كنت أعرف أن هناك شيئاً غير طبيعي يحدث في غرفة النوم ، الصوضاء غير معقولة . وكان عندي من الأسباب ما يجعلنى أتوقع كارثة ..

لهذا لم أصبغ الوقت فى التساؤل ، ولم أهرع إلى غرفة النوم لأرى ما هنالك ..

أنا لا أؤمن بقدرات خاصة لدى ( كولى ) ، لكنى لا أخذ ما يقول باستحفاف كبير . إنه لا يكتب الشعر لكنه يقضى حياته مع الشعراء . إنه لا يستطيع أن يقتل بيضة لكنه يحفظ كل وصفات الطهى فى العالم .. ليس وسيطاً لكنه يعرف ألف وسيط . وفى كل هذا يزعم أنه شاعر / طاه / وسيط بارع ..

لهذا لم أضيق الوقت كما قُتت وفتحت باب الشقة ، وسرعان ما كنت على الدرج . لحسن الحظ أنتى كنت ارتدى ثياباً تصلح للخروج وليس منامة . إن ثيابى كانت كلها فى غرفة النوم !

كانت فرصة موتى متاحة فى اللحظات التى نزلت فيها لأن المسلم كان خائلياً ، لكنى فى النهاية وجدت نفسى فى الشارع . ليس مردحماً لكنه ليس مفقراً .. وسرعان ما وجدت نفسى وسط زحام القاهرة الباعث للطمأنينة .. حتى لو أراد

هذا الشيء أن يتبعنى فنن يستطيع اختراق هذا الزحام .. حتى الأشباح لا تستطيع أن تفعل ذلك ..

كان قلبى الآن يخفق بعنف ، واحتجت إلى وقت لا بأس به كي أستعيد روعى .. دخلت إحدى الصيدليات وابتعت علبه نترات بما وجدت فى جيبى من مال ، وجلست على مقعد هناك ، ودسست قرصاً تحت لسانى بينما الصيدلى يرمقنى فى دهشة . ثم طلبت كوب ماء ..

هكذا صار من الممكن أن أعيش بضع دقائق أخرى ..

ماذا أتى بـ ( كولى ) وما دوره هنا ؟ ماذا أتى به كل هذه المسافة ودون إنذار ؟ ليست الولايات المتحدة هى ( الدلجمون ) لو كنت تفهم قصدى .

ثم كيف أجده ؟ لا شيء يربطنا إلا رقم هاتف بيتى . لاحظ أن الهاتف المحمول لم يخترع بعد .

بعد تفكير طويل وجدت أن الحل الوحيد هو أن أعود إلى البيت .. لن أكون وحدى هذه المرة ولنسوف أراهن على أن هذا الشيء لن يهاجمنى حتى لو كان معى واحد فقط .. أنا أعتمد أن ( كولى ) سيعاود الاتصال لمعرفة ما حدث .. لا يوجد لديه مبيت آخر ..

من هذا البائس الذى سأرغمه على قضاء الليل معى ؟



( عزت ) طبعا .. هل لديك اقتراح آخر ؟

هكذا عدت إلى النايبة . كانت المجازفة كبيرة لأننى قد أقابل هذا الشيء على الدرج . لكننى رحت أردد آية الكرسى محاولاً أن أحتفظ برباطة جأشى . لحسن الحظ كان البواب سائلاً من السطح الذى استولى عليه بوضع اليد ليقيم مشاريع غامضة . هكذا رحت أتبادل معه حديثاً مخيفاً عن ( الأشياء التى كانت كذلك ثم لم تعد كذلك ) وأنا أقرع باب ( عزت ) بإصرار ..

أخيراً فتح الفتى الباب فرانى . ولابد أن قلبه سقط فى قدميه لأنه يعرف ملامح وجهى ويعرف الطريقة التى ألقى بها الباب عندما ...

قلت له فى برود :

- « هلم .. ستمضى الليل هذى .. »

- « هل لى أن أعرف السبب ؟ »

قلت وأنا أتجه لفتح بابى :

- « هذا موضوع يطول لكنك تعرف نوعية مشاكلنى . »

كن قد تعلم أن لاستسلام هو خير سياسة معى .. هكذا أغلق شفتيه واتجه معى وهو لم يبدل منامته بعد ، فجلس

روايت مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة

فى الصلاة . تركته هناك واختلست نظرة داخل غرفة النوم . لا يوجد شيء مريب .. خزانة الثياب مغلقة وكنت أتوقع أن يتم تفتيشها بعناية ..

جلست معه فى الصلاة أحدثه عن ( الأشياء التى كانت كذلك ثم لم تعد كذلك ) . وهو يهز رأسه فى إعاظ ونعاس . لسان حاله يقول : يا سلام .. فعلاً .. كل الأشياء كانت كذلك ثم لم تعد كذلك ..

فجأة دق جرس الهاتف فهرعت أرد ..

حدث ما توقعته ..

جاء صوت ( كولبى ) يسأل :

- « إذن أنت قد عدت . أرجو ألا يكون شيء مخيف قد

حدث .. »

- « لم يحدث شيء . لكن من أين تتكلم ؟ »

- « مازلت فى المطار . تحرك ولا تخف لأن الخطر

زال .. »

ووصف لى مكانه بعناية .. هكذا ارتديت ثياباً مناسبة

أكثر واتجهت إلى الباب أمام نظرات ( عزت ) المرتابة المرتاعة . قلت له بفتور وأنا أغادر الشقة :

- « معذرة .. ثمة موعد مهم .. لن أستطيع البقاء معك ..  
استمتع بوقتكم .. سلام .. »

إن بعض الناس يفكرون إلى اللياقة بشكل ملحوظ ..  
والذي يبقيه في شفتي وهو يرى أنني مشغول ؟

\*\*\*

يعود ( كولبي ) من الحمام هو غارق في الماء كعادته ..  
لا يمكن أن يدخل الحمام من دون أن ينفجر صنبور الماء  
في وجهه ..

جلس في المقعد المجاور لي ثم عبث في جيوبه حتى  
أخرج ثلاث صفحات مجعدة متسخة وناولها لي .. سألته في  
عدم فهم :

- « ما هذا ؟ »

قال باسمًا بوجهه الطفولي الشبيه بوجوه دمي الأطفال :

- « باقى الكتاب ! إن الكتاب الذى معك ليس كاملاً ! »

نظرت للصفحات فوجدت أنها مكتوبة بالعبرية .. لكن لها  
ذات الطابع ( العفاريتى ) المميز لكل ما وجدته من ذلك  
الكتاب وأصح أنها آخر ثلاث صفحات لأننى لم أقبل أية  
فجوات في تتابع الأرقام من قبل ..

نظرت له في حيرة فقال :

- « عندما يصير الكتاب كاملاً تصير أنت في أمان ..  
لا أحد يهاجم من يملك النسخة الكاملة .. »

- « وهذا يعنى ؟ »

- « يعنى ما فهمته .. »

نظرت له من جديد وكنت أدس الأوراق في جيبى ، لكنه  
انتزعها منى وأعادها لجيبه باهتسامة من طراز ( ليس بهذه  
السهولة ) .. دنوت منه أكثر وسألته :

- « ماذا ألقى بك هنا ؟ »

عبث في جيوب معطفه .. كالعادة أخرج عشرات المفاتيح  
والأوراق وأرجل الأرائب وحدوات الحصان .. قلت من قبل  
إن ( الدهولة ) لو صار لها اسم لكان ( سلام كولبي ) .. إنه  
من القلائد الذين أشعر أمامهم بأننى وسيم جداً أتبقى جداً  
مرتب جداً واثق جداً ..

في النهاية وجد ما يبحث عنه .. خطاب عليه طابع  
مصرى كتب عليه اسمه وخطوته ..

- « أنت أخبرت هذا الفتى بعنوانى كى يتصل بى .. »

- « تتحدث عن ( فايز ) .. ( فايز قطب ) .. »

- « نعم .. نعم .. الصحفى .. »

- « الصحفى الذى مات .. »

بدا كأنما هو لم يسمع الخبر بعد ، لكنه لم يندهش كثيراً . قال لى وهو يعيد محتويات جيوبه إلى مكانها بلا نظام :

- « لن أندهش من هذا .. إن من يلعب بالنار لابد أن يتوقع أن يحترق بها . قليل هم الذين اهتموا بما اهتم به ، وقليل من عاش منهم ليحكى .. »

- « ماذا قال لك بالضبط ؟ »

نظر ( كولبى ) حوله فى حذر ، ثم قال :

- « قال الفتى إن عنده جزءاً من كتاب ( نيكرونوميكون ) .. وإنه بحاجة إلى من يفسره له لأنه كتب بالعبرية . سألنى كذلك عن نسخة كتاب ( إينوخ ) ترجمة ( دى ) . كان يريد معرفة تفاصيل عن العشرين شيطاناً . أنت تعرف هذه الأمور .. »

- « لا .. أنا لا أعرف هذه الأمور .. »

- « ستعرفها حتماً .. لكن لمصلحتك الخاصة لا تحاول استباق شيء . طبعاً لم أرد على خطاب الفتى . لا أحد

يجيب عن أسئلة من هذا النوع .. إن كتاب ( إينوخ ) موجود ويستعمله سحرة كثيرون ، لكنه ليس من الأشياء التى ترسلها بالبريد الفتى متحمس .. هذا كما تعرف ... »  
ثم تقلص وجهه .. فحسبته أصيب بنوبة قلبية .. لكنه هب واقفاً :

- « معذرة .. الحمام .. إنها البروستاتا كما تعلم .. »

تهدت فى ضيق .. من أين يأتى الرجل بكل هذه السوائل هو الذى لم يشرب كوب ماء منذ قابلته ؟  
بعد عشر دقائق عاد غارقاً فى الماء .. لقد جف لتوه ثم عاد بيثلاً ثانية ..

جلس وأرشف :

- « عم كنت أتكلم ؟ عن البروستاتا .. »

- « بل عن كتاب ( إينوخ ) .. »

حك شعره عدة مرات وقال :

- « آه .. الكتاب .. لقد فهمت من خطاب الفتى أن كتاب ( نيكرونوميكون ) يجرى تجميعه فى مصر تحت إشراف أستاذ تاريخ .. فجأة ونسب لا أعرفه صار كل سحرة ( نيويورك ) على علم بهذا .. إن امتلاك هذا الكتاب حلم كل

منهم - وأن لا أختلف عنهم فى هذا .. هكذا قررت أن اتى إلى مصر وأحاول الحصول على الكتاب كاملاً إنه مشروع عملى بلا زيادة ولا نقصان . وفى ليلة السفر استدعانى (موسفاديم) العظيم . إنه أمريكى أسود من الخبراء فى مهنتنا وله أتباع عديدون فى القبو الذى يعيش فيه فى (بروكلين) وأعطانى هذه القلادة «

ومد يده فى جيبه وأخرج قلادة عتيقة . لا أعقد أنها ثمينة لكن يتدلى منها حجر أملس غريب الشكل ..

لوردف (كولبى) :

- « قال لسى (موسفاديم) إن الكتاب الآن صار شبه كامل وهو بحوزة طبيب كهل نحيل أصلى يعيش وحده وأعرفه جيداً . قال لى إن هذا الكهل لا يعرف مدى الخطر الذى يتعرض له . قال لى إن على أن أتصل به وأحذره .. هذه القلادة تتوهج عندما يتحرك أحد الشياطين العشرى للقتل أعطانى هذه الصفحات وقال إنها تكمل الكتاب .. وإن الكتاب إذا اكتمل يعطى صاحبه نوعاً من الحصانة ، إن الشياطين التى تلاحقك لن تجرؤ وقتها على ذلك «

- « يا سلام ! لم أعرف أن سحرة نيويورك مهتمون

بصحتى إلى هذا الحد .. «

- « بل هى المنفعة .. يخشون من أن تهلك فيهلك سر الكتاب معك .. لا أحد يعرف أين تضعه «

- « منطقى .. أصدق تلك التفسيرات التى تضع البراجماتية pragmatism فى حساباتها .. «

- « طبعا لم أجد صعوبة فى معرفة من هو ذلك الكهل الأصلح النحيل ، خاصة أن الفتى راسلنى عن طريقك .. وعندما هبطت الطائرة وأنهيت إجراءات الحقائق ، نظرت إلى القلادة فوجدتها تتوهج بلا انقطاع . عندها عرفت أن الخطر يتحرش بك فى هذه اللحظة .. اتصلت بك وطلبت منك ألا تبقى وحيداً .. «

- « ومن أخبرك أن الخطر فى غرفة نومى ؟ «

ابتسم فى خجل وقال وهو يجفف عرقه :

- « كان هذا مجرد تخمين لا أكثر .. «

ابتسمت بدورى . الآن القصة منطقية نوعاً .. من جديد ملت عليه لسأله :

- « ولماذا لا تترك لى الأوراق التى تكمل الكتاب ؟ «

قال ضاحكاً :



« إنها صفتة .. لديك كتاب ناقص لا يهتمك في شيء ..  
ويجنب على رأسك أخطاراً لا حصر لها .. لهذا أريده أنا ..  
لو تركت لك الأوراق الناقصة لأمكنك أن تحتفظ به للأبد ..  
وهذا ما لا أريده .. »

ثم قال بنهجة أقرب إلى التوسل :

« بالفعل هذا الكتاب لا يمثل لك شيئاً بينما هو لنا  
مفتاح الكون ذاته .. أرجوك أن تعطيني إياه ! »

نظرت له قنبلاً .. ورحت أفكر فيما يجب أن أقول .. ثم  
قلت بصوت مكتوى :

« بالفعل لا أريده على الإطلاق .. إنه كابوس .. »

« هذا ما أحاول إقناعك به .. »

وبدت لي الصلقة عادلة .. سلامتي وراحة بالي مقابل  
كتاب خطر لا أرى له نفعاً ..

لن أفكر مرتين ...

\*\*\*

### - ٣ -

جاءني عم ( شوقي ) مساعد الشرطة بمجموعة من  
الأوراق .. كالعادة .. وفكر فيما إذا كان عليه أن يموت على  
يأس ، ثم عدل عن هذا .. أرجو أن يستمر تهذيبه إلى  
الأبد ..

كانت الأوراق في مظروف .. وقد أغلق المظروف على  
طريقة أحرار الشرطة الشهيرة ، وبداخله وجدت ورقة بخط  
( عادل ) تقول :

الدكتور ( رفعت ) :

هذه الأوراق تخص الدكتور ( يوسف ) .. أبو الحسن  
رحمه الله .. لقد ترك هذا المظروف لدى صديق له على أن  
يفتح في حالة اختفائه . يبدو أن الصديق تردد فترة طويلة  
ثم استجمع شجاعته وقرأ الخطاب .. وكان أول ما فيه هو  
طلب أن يبلغ الشرطة بمحتوى الأوراق . سوف تجد في  
الأوراق أشياء تهمك كثيراً ويهمني أكثر رأيك فيها . للعلم  
واتخاذ اللازم ..

عميد ( عادل توفيق )

تدهشت لصيغة الخطاب الرسمية ثم إنهائه بعبارة باردة

تقريرية مثل (للعلم واتخاذ القرار) ، لكننى قدرت أنها طبيعة الحذر ربما فتح المظروف لسبب ما ، فلا يجب أن يبدو العميد (عادل توفيق) أقل من عميد فى أية لحظة.

على أننى على مدى الساعتين التاليتين قضيت أغرب ربما أسود ساعات حياتى وأنا أقرأ قصة (يوسف) .. مع كتاب (بيكرونوميكون) ، استأذه غريب الأطوار (محتار) . غريب الأطوار ؟ هذا أقل شىء تصف به شخصاً يلحق عيبه بلسانه . وبدأت القصة تتضح أكثر .

إن بقصة متعددة الرواة Polyphonic وهو أسلوب أتبعه كثيراً تعظيم وجهات نظر مختلفة . العميان الذين يتحسمون فيلاً فيقول الأول : الفيل خرطوم طويل ، ويقول الثانى : الفيل مروحة ، ويقول ثالث الفيل أربعة أعمدة . فقط حينئذ تحشد رواياتهم تدرك أنك ترى فيلاً أمامك . وقد ساعدت هذه المذكرات مع مذكرات د (زكى) مع معلوماتى عن القصة مع ما يعرفه (كولبى) . على جعلى أكون صورة شبه كاملة للحدث ...

على أن الأحداث انتهت بالنسبة لى لم تعد ثمة قوة دفع أخرى أربعة كنهوا بمهمة رهيبية ودفعوا حياتهم ثمناً

لها ، ومن الواضح أن حوادث القتل انتهت عند هذا الحد .. (كولبى) سيأخذ كتابه الرهيب ويعود السلام إلى الربوع وتغرد العصافير و ...

### تغرد ؟

لا .. إنها تصدر شخيراً .. تغط فى نومها ..

لو كان (كولبى) يعانى شيئاً بالإضافة إلى البروستاتا فهو اللحمية .. إنه يصدر صوتاً يذكر بك بأتوبيس الأرياف الذى لم يدخل ورشة الصيانة منذ عشرين عاماً .

الأهم أن هذا الرجل لا يفعل شيئاً إلا النوم .. إنه ينام كطفل رضيع .. لم أر ساعراً بهذا الكسل فى حياتى .. اعتقد أنه امتهن السحر لأنه يتيح له ألا يفعل شيئاً على الإطلاق .. نسيت أن أقول إنه يقضى أكثر وقت يقظته فى الحمام لأنها البروستاتا كما تعلمون ، حتى صار دخولى للحمام معجزة .. دعك من أنه يأكل كالتعاسيح الصغيرة حتى قدرت أن خراب بيتى قريب ..

نعم (كولبى) هنا .. ألم أخبرك بهذا ؟

هذا منطقى .. هو لا يريد التخلي عن الصفحات التى معه وأنا لا أريد أن أبقي وحيداً مع الكتاب فينتزع قلبى من

الضلوع .. صفة هي نوع من التكافل الحيوى symbiosis كذلك الطائر الذى ينزع الحشرات عن جلد الخرتيت ويحميه الخرتيت من الأعداء ..

نعم . ( كولبى ) خرتيت .. هذا حق .. لكن لا يوجد حل آخر ..

هناك حل هو أن أعطيه الكتاب وأضعه فى أول طائرة ، لكن ( عادل ) حينما عرف مغامرتى الصغيرة لم يسمح لى بذلك قال لى إننى سأغير رأى بالتاكيد بعد ما أقرأ مذكرات ( يوسف ) ..

قال لى فى خيظ على الهاتف :

« نحن لا نمزح هنا .. هناك جرائم قتل وقتل لم يضبط قط أنت تحدثنى عن كتاب وهراء مماثل .. إذن دع هذا الخبير ينتظر معنا إلى أن نفهم كل شيء .. لا تقل لى إن الكتاب أنهى مهمته وساد السلام .. هذا كلام فارغ لن أضعه فى أى تقرير .. »

هكذا قررت أن أستبقى هذا ( الخبير ) إلى أن أعرف ما فى مذكرات ( يوسف ) .. هذا ..

أخيراً نجحت فى إيقاظ ( كولبى ) فجلس فى الفراش فراشى يحك بطنه ، لابساً منامته للمزركشة التى لو رايتها على طفل فى الثالثة من عمره لاتهمته بالابتذال .. ثم صألنى :

« هل من شيء يؤكل ؟ » :

قلت فى عصبية :

« ثمة شيء يسمع هذه المذكرات . »

وجلست أمامه أحكى له ترجمة أمينة لما قرأت فى مذكرات الباحث الشاب .. راح يصفى وتعبيرات وجهه الطفولى تزداد غباء .. ذهب إلى الحمام مرتين لأنها البروساتنا كما تعلمون ، ثم عاد يصفى بانتباه ..

فى النهاية قال لى :

« الأمر واضح .. لقد استشار الفتى الشخص الخطأ .. إن أستاذه كان واحداً من العشرين شيطانا . إنها صدفة غريبة لو أردت أن تعتقد هذا ، لكنى أميل إلى الظن أن الفتى وجد نفسه مدفوعاً لهذا .. لقد وجهه كتاب النيكر ونوميكون إلى ما يبحث عنه »

وقفت ورحلت أجوب الغرفة فى عصبية ، وسألته :

- « معذرة على غيائى . لكنى سمعت موضوع الشريرين شيطاناً هذا ألف مرة تقريباً .. ولا علم لى بهم .. فهلا كنت أكثر تحديداً ؟ »

ابتلع ريقه وقال :

- « بلى . أنت تستحق أن تعرف .. »

\*\*\*

قال ( كولبى ) :

« من المفاهيم الأساسية فى كتاب ( اينوخ Enoch ) أن هناك عشرين شيطاناً جاعوا الأرض ، وتزوجوا من بنات البشر فأنجبوا ذرية مخيفة . أفراد الذرية كانوا متقدمين علمياً وقد صنعوا اسلحة متقدمة متفنة ومجوهرات عجيبة كم أنهم كانوا يشربون الدم كعادة محببة . من الغريب أن هذه القصة موجودة كذلك فى التلمود ذاته ، وأنت تعرف أهمية هذا للكتاب بالنسبة لليهود .. »

قلت له فى حيرة :

- « وما بخل ( نيكرنوميكون ) بهذا ؟ أنت تتكلم عن

كتاب آخر »

قال باسمًا :

- « من المفاهيم السائدة فى كتاب ( نيكرنوميكون ) ذلك الكلام عن الكيانات القديمة Old ones .. إنها كيانات أكبر من البشر .. وراء البشر .. لقد اعتقد ( الحظرد ) أن أجناساً أخرى غير الإنسان ورثت معه هذه الأرض ، وأن ما يعرفه الإنسان عرفه من كائنات مما وراء هذا العالم . وآمن - وكان دقيقاً فى هذا - بأن النجوم شمس أخرى حولها كواكب أخرى وزعم أنه اتصل بالكيانات القديمة The old ones عن طريق السحر . وكان يرى أن هؤلاء سوسيطرون على الأرض فى النهاية محولين العالم الذى نعرفه إلى خراب .. زعم أنه تعلم هذا من أطلال ( بابل ) و ( إرم ) .. إن .. »

وتقلص وجهه ألماً .. إنها البروستاتا كما تعلمون .. ثم ..

- « إن النيكرنوميكون كتاب تاريخ يحكى عن الكيانات القديمة أكثر منه دليلاً للسحرة المبتدئين كما يظن البعض وهذا هو ما يجعل الكتاب مخيفاً .. فهو لا يعتقد بأننا ملوك الكون وأن الكون فى خدمتنا ، بل هو يتحدث عن كون معاد فيه قوى عاتية ، بينما نحن مجرد غبار معدوم الحيلة وما يبقينا أحياء هو أننا لنفهم من اللازم .. »



« الآن يمكنك أن تفهم الكلام الذى قاله لك ذلك الصحفى الذى نسيت اسمه .. لقد آمن البروفسور البريطانى بأن العشرين شيطاناً موجودون بيننا ، وأن النهاية قريبة لأن هؤلاء ينتمون إلى الكيانات القديمة . هذا هو ما انطلق أربعة الباحثين يبحثون عنه .. ثم انتقلت المسئولية لتقع على عاتق ذلك الأستاذ . هل كان اسمه ( زكى ) ؟؟ نعم .. ثمة واحد من هؤلاء قام بدراسة معقدة عن الموضوع .. تلك الدراسة المشفرة التى لم نستطع قراءتها .. »

قلت محتجاً وأنا اشعر بأن رأسى ينفجر :

- « لحظة . أنت قلت إن العشرين شيطاناً تزوجوا بنات البشر .. أى أنهم سلالة كاملة الآن .. »

- « واضح مما توصل إليه أصدقائك هؤلاء أن هذا لم يحدث . إنهم يعيشون بيننا لكنهم لم يتكاثروا . الأمر هين بالنسبة لهم يندمجون بنا ولا يشيخون . ثم عندما يبدأ من حولهم فى التساؤل يختلفون . ثم يظهرون فى مكان آخر باسم آخر ويبدءون حياة جديدة . لاحظ أن كثيرين منهم ( كراولى ) نفسه اعتقدوا هذا . »

- « كل هذا جميل .. ولكن من هم ؟ »

« كانت هذه هى نقطة لقاء ( نيكرونوميكون ) والتلمود و ( إينوخ ) والكابالا . وهذا هو ما جعل ( ناتان غزة ) يدرس ( العزيف ) بعمق .. تعتقد هذه الكتب أن الله خلق عدة عوالم قبل هذه تحلت كلها بسبب شر الكيانات القديمة .. فى العبرية كلمة هى ( دن ) ومضاهها ( الحكم على الأشياء ) إن للكون نفسه أعظم نموذج للذن . ثم يأتى مفهوم الكلبيوث .. الكلبيوث باختصار هو قشرة للشر الموحدة فى العالم . إنها قشرة لا أكثر لكن خطايا البشر تستطيع أن تملأها . وهنا يمارس الذن تأثيراً سلبياً لأنه يفرق بين البشر وبعضهم وللكلبيوث سبعة ملوك يمثلون العوالم السبعة السابقة المدمرة و . »

إنها البروستاتا كما تعلمون .. ثم ..

- « ظهر كتاب ( إينوخ ) إلى العالم مترجماً على يد ( دى ) ، الذى زعم أنه التقى بتلك الكيانات القديمة عن طريق هذا الكتاب . قال إنها كانت تستعمل شفرة غريبة ، لكنه وجد حل هذه الشفرة فى الـ ( إينوخ ) واستطاع أن يتصل بها ، وقد استعمل سحرة كثيرون ذات الشفرة اللغوية ووجدوها مريحة .. »

مط شفته للسفلى وقال :

« لا أعرف .. ربما عرف هؤلاء القوم وربما لم يعرفوا .. ربما كانت أسماؤهم موجودة فى تلك الأوراق المشفرة .. قد يكون أحدهم محاسبًا فى ( وول ستريت ) .. قد يكون أحدهم عضوًا فى مجلس وزراء ( تايوان ) .. قد يكون أحدهم مليارديرًا سويسريًا .. المهم أنهم بالتأكد أثرىء .. أن تعيش كل هذا الزمن مضاه أن تكون ثريًا .. لابد أنهم واسعو النفوذ لابد أنهم لا يبدون على حقيقتهم المفزعة .. لانعرف .. لكننا نعرف يقينًا أن أستاذ التاريخ الذى استشاره صاحبك كان منهم .. هذا هو طرف الخيط .. »

« وموضوع الوحمة هذا ؟ لماذا تتبدل ؟ »

« أغلب الظن أنها طريقة للتنويه .. لابد من وحمة .. هذه علامتهم وربما مصدر اعتزازهم القومى .. لكن كيف تبدو ؟ احتمالات لا حصر لها .. فى كل يوم لها مظهر آخر .. »

سألته :

« ولماذا مات أربعة الباحثين ؟ ولماذا كتب عنهم

كلمات ؟ »

قال ببسمته الطفولية التى تثير غيظي :

« ماتوا لأنهم يعرفون أكثر من اللازم .. بعبارة أدق : لأن الشياطين حسبوهم يعرفون أكثر من اللازم ، وهذا هو السبب الذى جعل من اقتنوا أجزاء من الكتاب قديمًا لا يتعرضون لما تعرض له هؤلاء .. ألم تر أفلام العصابات المدعوة Film Noir إياها ؟ »

يقصد أفلام الجريمة القائمة القديمة ، حيث لا تعرف إن كان المخبر أم المجرم أكثر إجرامًا ، وحيث الكل ( يعرفون أكثر من اللازم ) ..

« ولماذا كتب عنهم هذه الكلمات ؟ .. لماذا أشار إلى ( العزيز ) ؟ »

حك رأسه فى حيرة وقال :

« لا أعرف .. اعتقد أنه تأثر بكتاب ( نيكرونوميكون ) نفسه .. إن الكتاب ينتقم لأصحابه .. يبلغ العالم أنه هو السبب .. »

قلت فى غيظ :

« يا سلام ! أنا لم ألق كتبًا واثية كثيرة من قبل ، لكن

هذا الكتاب يصلح مخبراً للشرطة .. ولماذا لم يكتب الكلمة مرة واحدة ويريحنا؟؟ كان بوسعك أن يكتب تقريراً كاملاً .. إنه ثرثار بما يكفي. «

- « ليست هذه الطريقة التي تتحرك بها الأمور في عالمنا ولا عالم الميتافيزيقا . لابد من الانفاز . لابد من التمتع . فكر في الأمر كالحلم . يستطيع الحلم أن يقول لك بصراحة : أنا أحس أبي وأحجل من بدائتي .. لكن هذا لا يحدث .. بل ترى لعبة رمزية شديدة التعقيد . أعتقد أن عالم الميتافيزيقا يطبق نفس معايير الحلم .. »

كنت أنا أفكر في عمق ..

للمرة الأولى أسمع كلاماً مهماً من هذا النصاب متضخم البروستاتا .. بالفعل هو لا يستطيع قلبي بيضة لكنه يحفظ كل أساليب الطهي ..

القصة عجيبة .. ولا أصدق حرفاً . خاصة مع كل تلك المصادر اليهودية .

لكن لا أرى ما يمنع من مقابلة ذلك الدكتور ( مختار أبو مندور ) ..

== ٤ ==

- « هل من المتوقع أن يأتي زوجك الآن ؟ »

- « Mais non .. إنه في الكلية .. ومن هناك سيسافر إلى القاهرة لبيت هناك »

- « وهل يضايقك أن تحدثنا بصراحة ؟ »

- « عن أي شيء ؟ »

كنا جالسين في النادي الراقص إيه .. أنا و ( عادل ) والسيدة ( علياء ) .. انطبأ على عنفائها ؟ لا شيء .. إنها متقدمة في العمر لكني لا أعتقد أنها كانت جميلة جداً منذ أعوام .. إنه للتعالي .. إنها الأرستقراطية حين ترسم تجاعيدها على الوجه وزاويتي الفم فتضح ما كان فيه من جمال .. وكانت تداري عينيها وراء نظارة سوداء أنيقة .. لكني خمنت أن هاتين العينين تكيان بأفراط وتسهران كثيراً .

تم للتعرف بسهولة .. إن ( عادل ) من رواد هذا النادي . لكنه الآن ليس هنا بصفته الشخصية بل بصفته الرسمية .. وكان قد استبعد تماماً البدء بالزوج .. هذا هو الحمق بعينه .. قال لي إنه يعتقد أنها مغلوطة على أمرها .. مذكرات ( يوسف ) .. تخبرنا بهذا .. إنها في صفنا بشكل ما ..

كان متأثراً بأنفاسه المعهودة ، مهيباً نافذاً إلى ما يريد فلم  
تجرو المرأة على الاعتراض . نوقمت أنا بهذه المحاولة  
لتلقيت لكمة في أنفي ..

قال ( عادل ) بطريقته المقتحمة الجريئة :

« ثمة أشياء يصدد إحم .. إن زميلي د. ( رفعت )  
لديه ما يقوله ! »

هكذا صارت الكرة في ملعبى ..

رحلت أرمى الصخب من حولى .. حوض الأكرهار .  
السفة يروحون ويحبون . أطفال يلهون .. حسناء تركض  
لتخبر ( ميمى ) بشيء ما .. ثم قلت :

« ثمة شيء يتعلق بزواجك . د. ( مختار ) .. هل  
توافقين على هذا ؟ »

رفعت حاجبها فوق إطار النظارة بمعنى ( استمر ) ..  
فلرقت :

« وهذا الشيء لا يريحك .. »

ظلت تنظر لى دون أى تعبير . فواصلت الكلام :

« إنه غريب الأطوار . ربما مخيف كذلك . هل ترين

هذا ؟ »

هذه المرة تقلص وجهها فى بشاعة وارتفع قوسا  
حاجبها فى غضب ارستقراطى محموم ، وقالت :

« It's awful ! How dare you ? ( هذا لا يطاق ..  
كيف تجرؤ ؟ ) »

ثم نهضت فى عصبية ، وبعبسية أكثر تناولت حقيبتها  
وهتفت :

« Je suis dégoûté !! »

لا أجيد الفرنسية ، لكنك لا تجد صعوبة فى فهم شخص  
يتكلم فى اشمزاز .. إنه على الأرجح مشعز ..

هكذا طللنا أنا و ( عادل ) جالسين نتبادل النظرات بينما  
وقفت هى ..

فجأة تصلبت ، ثم جذبت مقعدها وجلست ثانية .. هذه  
المررة أخرجت منديلها وراحت تبكى كصنبور تالف ..

ثم تمخضت فى سخاء وقالت :

« My hubby .. إنه شنيع .. شنيع !! »

\*\*\*



قالت (علياء) بعد ما حكى لنا القصة كلها ، تلك التي سمعتها أنت :

« عندما دخلت الغرفة .. لم يكن المشهد قبيلاً للوصف ..  
رباه It was such a nightmare! .. أى مسخ كان يرقد فى  
الغرفة المجاورة لى كل هذه السنين ؟ »

قال (عادل) فى إصرار خشن نوعاً :

« هلا وصفته لنا ؟ »

« لا أستطيع .. لا بد أن تراه لتصدق .. كتلة عفنة من  
الزوجة . شىء يذكر بالأمميا لكنه شرير فى الوقت  
ذاته . يتدلى حول أطراف الفراش حتى تشعر أن قطرات  
تساقط منه على السجادة .. فى هذه اللحظة نهض ! »

وثبت أنا و (عادل) فى اللحظة ذاتها كأننا نحن من  
نهض لا الزوج ..

قالت وهى تنزع نظارتها لتحسن تجليف الدموع :

« نعم لقد سقطت من يدي الأداة التى كنت أحملها  
وسمعتها . فى هذه اللحظة كنت قد تحولت إلى كيان متهالك  
بلا إرادة كالعجين Totally helpless .. سقطت أرضاً بينما

هو ينهض .. كان يضحك كأنه كان يتوقع .. كنت أبكى  
و ... »

وتهالفت من جديد ، وتوقف نادل فى فضول ليلقى نظرة  
على ما يحدث .. ثم قدر أن الأمر لا يستأهل التدخل .. لسنا  
وغنين نضايق هذه السيدة ..

قالت وقد أعادت نظارتها :

« قال لى إنه كان ينتظر هذه اللحظة .. وظل يردد هذه  
العبارة مراراً .. قال إننى لن أستطيع عمل شىء . إننى  
تحت رحمته تماماً .. أنا مجرد زى تتكرى يبدو به بشرياً  
أمام الناس . وفى اللحظة المناسبة عندما يتساعل الناس  
عن سبب عدم تقدمه فى العمر سيختفى .. بعدها يظهر فى  
مكان آخر باسم آخر ويتقدم بأوراق مزورة طالباً عملاً  
جديداً . ويتزوج امرأة أخرى . هكذا كان الأمر منذ قرون ..  
إن الأمر كما حسبت .. صورة جده وصورة أبيه ليستا إلا  
صورته هو نفسه .. »

قلت وأنا أتصور الموقف :

« لحسن حظه إذن أنك لم تجبى »

ضحكت في مرارة وقالت :

- « لم يتزوج لينجب قط . ليست الأبوة ضمن مشاريعه فهي تتضمن نوعاً من التخلي عن الذات أو منح جزء منها ، وهي فكرة غير واردة بالنسبة له .. لقد فتح لي مكتبه وعرض على مخيلتي مليناً بمادة حافظة .. الشيء الذي كان في السائل هو مبيضاً امرأة »

- « فوش ش ش ش ش ش ش ١ »

هذه كانت من ( عادل ) الذي اختار هذه اللحظة بالذات ليشرب الليمون . ونظر لها في ذهول ، بينما سألتها أنا :

- « و .. و .. الجراحة التي ... »

قالت بتحد :

- « لا جراحة . لم أشعر بشيء على الإطلاق ولم أعرف بحدوثه . لقد حدث هذا بعد الزواج مباشرة .. إنه قادر على هذا وأكثر . ولهذا لم يستطع الطبيب تفسير سر عدم إجابتي . لقد اعتقد أن انقطاع الدورة له أسباب هرمونية .. »

كس في عصر ما قبل الموجات الصوتية لهذا كان اكتشاف

شيء كهذا عسيراً .. واختلالات الهرمونات واردة على كل حال . لاحظ أنه ما من ندوب توحى بجراحة .

سألها ( عادل ) وهو يجفف عرقه :

- « ولكن .. كان بوسعه ألا ينجب منك ما دام لا يريد ذلك . لا يجب أن يجرى لك هذه الجراحة الشنيعة »

قالت وهي تنظر إلى بعد :

- « هو لا يتصرف بهذا المنطق .. ما يعنيه هو أن يسبب الأذى والضرر للآخرين .. ما دام يستطيع إنهاء وجودي كامرأة فلماذا لا يفعل هذا ؟ ؟ Why not for God's sake ? »

صمت أسألها ولما ارتجف :

- « وكيف سارت حياتكما بعد هذا ؟ »

- « لقد هددني بأنني لن أستطيع الفرار منه . على أن أستمع في أداء دوري الاجتماعي معه وإلا . هو قادر على تنفيذ هذا التهديد . سوف يجدني في أي مكان .. وقد كنت خائفة .. لذا فعلت كل ما طلب مني .. »

سألها ( عادل ) :

- « لكلك حاولت أن تحذري الناس منه كلما استطعت »

هزت رأسها وقالت :

- « نعم .. لقد جاءه باحث شاب متحمس بعمل معه في ذات الكلية ، واسمه ( يوسف ) . يعرض عليه دراسة يقوم بها حول كتاب قديم .. قال له إنه وثلاثة من رفاقه على شفا الكشف عن شياطين تحيا بيننا ولا تبدو مختلفة .. جن جنون زوجي . لماذا يسأله الفتى هو بالذات ؟ كان متأكدا من أن الفتى يعرف سره وقد حاول أن ينصب له كميناً . عرفت هذا بالطبع لأنى سجينته وهو يتكلم بصوت عال عن كل شيء . لهذا انتهزت فرصة انفرادى بالفتى وكتبت له كلمة تحذيرية أحسبه لم يعمل بها . لقد عرفت أنه مات مئة شنيعة .. »

- « هذا ما حدث فعلاً »

ساد الصمت للحظة . وعرفت ما سيقوله ( عادل ) .

- « الآن متى يمكنك أن تتيحى لنا دخول غرفة مكتب زوجك ؟ »

- ٥ -

- « لن آتى معكما ! »

قالها ( عادل ) فى ثبات وهو يخلق باب شقته ..

قلت محتجاً :

- « لكننا بحاجة إليك .. أنت تعرف هذا .. »

- « أعرف هذا .. مشكلتى أننى أعرف هذا .. أعرف

انكما من دونى ستكونان دجاجتين عجوزين حمقاوين ..

لكنى لا أستطيع أن أرافك لابد من أن أحصل على إذن

رسمى بهذا من جهة قضائية ، وأنت تعرف أن هذا مستحيل

اعتماداً على قصة خيالية كهذه . وهذا يعنى أن عليك أن

تتصرف على مسئوليتك .. المفترض أننى لا أعرف شيئاً

عن معامرتك للحمقاء هذه . ولو حدثت مشاكل فأنا لا أعرف

أى شيء عن الموضوع »

فيما بعد رأيت حلقات ( المهمة : المستحيل ) التلفزيونية ،

حيث كانت كل حلقة تبدأ بعبارة ( لو تم القبض على أحدكم

فلسوف تذكر أية علاقة لنا به ) .. هذا هو العمل السرى

الحق .. -

هكذا اصطحبني (عادل) إلى الفندق المظلم على الكورنيش ، فاستقلت المصعد إلى غرفة (كولبي) ..

كان نائمًا كالعادة .. يجب أن أذكر أنه صار يترك صفحات الكتاب الباقصة في حقيبتى مع الكتاب ذاته .. فقد فهم أنني زاهد في اقتنائه كل الزهد ، وهو مؤمن أن الكتاب المكتمل هو الطريقة الوحيدة لحماية ..

رحلت لأحكي له ملخص ما حدث ..

- « إن الليلة هي فرصتنا الأفضل .. الأخ (مختار) يبيت في القهرة الفيلة كلها لنا لو فاتت الفرصة فلانعرف متى تسنح من جديد .. »

- « إذن سننتسلل كلصين ؟ »

- « ليس بالضبط .. إن الزوجة نفسها هي التي ستفتح لنا وستخبرنا بكل التفاصيل .. »

راح يفكر .. وبدأ أن الفكرة تروى له ..

قلت له باسمًا :

- « لو لم تأت لأرغمك على ذلك . هذه المهمة تحتاج إليك .. »

قلت وهو يبدل ثيابه :

- « أعقد أنه من الحكمة أن نحمل الكتاب معنا .. ربما كان هذا الشيء الذي سيحمينا »

- « وربما كان الشيء الذي تم استدراجنا من أجله »

وهكذا انطلقنا نحو بيت الرجل . الرجل الذي يبدو كذلك لكنه لا ينتمى للبشر حسب ما يقوله (دى) و(كراولس) وربما (كولبي) كذلك ..

فتحت لنا الباب بنفسها .. لم تتخلص بعد من نظارتها السوداء ، وإن عقصت شعرها وارتدت ثيابًا أبيضًا فبدت على قدر من الجمال . وسمحت لنا بالدخول وهي لا تكف عن النظر إلى (كولبي) في لرتياب .. إن منظره غريب في أى مكان وزمان ..

قلت لها باسمًا :

- « هذا هو (سام كولبي) .. »

هر رأسه لها في رقة مضحكة .. كان يحمل حقيبتة على ظهره فبدأ أقرب إلى تلميذ مدرسة خجول يقدمونه إلى (طقط صافيناز) ..



كان هذا كافياً على ما يبدو لأنها لم تسأل عن شيء آخر .. كأنه من الطبيعي جداً أن تصطحب معك نصاباً يهودياً أمريكياً حينما تزور الناس في بيوتهم .

أطلقت شهقة وأطلق ( كولبي ) صفارة برغمه عندما دخلنا الفيلا . أنا لست طفلاً .. لقد رأيت الكثير وليس إبهاري سهلاً . لكني لم أر هذا القدر من الفخامة والثراء والرفق .. كأن نظراتك ذاتها يمكن أن تحدث كل هذه التحف . رواق طويل تحف به التحف .. ثمة ( كونسول ) عملاق أكثر من ( أنتريه ) وصالون .. طنائف تشير الحمد في نفس ( هارون الرشيد ) ذاته .. بيانو أسود مهيب الشكل لابد أنه كان يخص الخواجة ( هاندل ) أو ( ليست ) .. وعلى الجدار لوحات تأثيرية لن أندش لو قيل لي إنها حقيقية . هناك طابق علوي .. طبعاً ..

قال ( كولبي ) في مذاجة :

« أساتذة الجامعة عندهم يكسبون جيداً »

قلت في غبط :

« كلهم ! أنا الفشل الوحيد . لاحظ لصاتك لأن السيدة

تجيد الإنجليزية »

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة ٢٣٣

قلت لنا متجاهلة هذه التعليقات :

« لا يوجد خدم .. كلهم في إجازة . هذا يعطينا حرية أكثر .. »

ثم تقدمتنا بسرعة إلى الدرج .. فلابد أن غرفة المكتب في الطابق الثاني .. ومن جديد مشينا في ممر يشي بالثراء .. قدامك تفويضان في السجاد كأنه الرمال المتحركة .. رائحة عطرة تفوح في الجو .. عندما يكون عمرك عدة قرون فأنت لا تعاني الفاقة .. لو ادخرت قرشاً كل يوم لصرت في ثراء ( قارون ) ..

سألها ( كولبي ) عن الحمام لأنها مشكلة بروسقاتا ، فلزادت دهشتها . إلا أنها أشارت إلى باب جاتبي عن يمين الممر ، فمشى إليه وتوارى بضع دقائق عاد بعدها وقد بئل صنبور الماء نصفه العلوي كله .. الأمر الذي لم يزد لها ثقة به ..

اتجهت إلى باب عملاق ففتحت بمفتاح أخرجته من صدرها ..

كانت قاعة طويلة ذات إضاءة مريحة خافتة .. هناك مكتبة جدارية وثمة بعض تماثيل برونزية لفتيات إغريقيات

يفعلن أشياء ما لا يمكنك أبداً فهم ما تفعله هذه التماثيل ..  
هناك مكتب أنيق صغير اعتقد أنه من طراز ( شينديل ) .  
هكذا يقولون في القصص . وثمة أباجورة صغيرة على  
شكل أفعى تلتف حول شجرة . الخلاصة أنه طراز المكاتب  
التي يتجسسون على محتوياتها في أفلام الجاسوسية ..

راح ( كولبي ) يتفحص رفوف الكتب في الضوء  
الحافت . بطالع العناوين الإنجليزية ، ثم قال بخيبة أمل :

« مجرد كتب تاريخ .. »

قلت في ضيق :

« لا تتوقع أن يضع على الرف كتاباً مثل ( مذكرات  
شيطان ) أو ( الطرق العشر لامتصاص الدماء ) . إنه استاذ  
تاريخ لذا لابد أنه يملك كتب تاريخ .. »

كان هناك صف كامل من المحلدات السود التي يبدو أنها  
الرسائل التي أشرف عليها هذا رجل قد أعطى الكثير للعالم  
حتى لو لم يعتمد هذا . لكني ما زلت مندهشاً من قدرته على  
اتصال هذا الدور كيف خدع كل هؤلاء الطلبة الذين  
جلسوا بين يديه ؟

مدت ( علياء ) يدها في صدرها وأخرجت سلسلة في  
طرفها مفتاح ، وبهد راجفة عصبية عالجت قفل المكتب  
فاتفتح .. ثم نظرت لنا نظرة تقول ( هو لكما ) ..

جلست إلى المكتب ووقف ( كولبي ) ورأى .

ورحت أعبت في الدرج محاولاً عدم تغيير شيء من  
معالمه ..

قالت ( علياء ) بصوت كالضحك :

« لا تحاول . إنه يضع خيوطاً رفيعة في كل مكان  
وكل شيء . لا يمكنك أن تخدعه أبداً . »

نظرت لها في توتر . وأعدت النظر إلى الدرج . ثم  
سألتها :

« إن ما جدوى للسرية ؟ »

قالت وهي تتنفس بصعوبة :

« لا جدوى .. فقط أمل أن تجد ما يخلصني منه  
أو يضعفه .. فيما عدا هذا أنا ميتة .. »

بعد برهة صمت عدت أتأمل الدرج مدققاً .. بالفعل كان

الوعد قد نثر عشرات الخيوط الرفيعة كأنها خيوط عنكبوت فوق كل شيء من المستحيل فعلياً أن تتحاشى تمزيق أى خيط . لكنى أتساءل عما يفعله هو ليعيد الأمور سيرتها الأولى .

هكذا قررت أن أتعامل بتهور أكثر من منطق من ليس لديه ما يخسره . ومددت يدي إلى دفتر صغير ورحلت أتفحصه . كان مليئاً بأرقام الهاتف والعناوين . بعضها فى مصر وبعضها فى الخارج . قررت أن أدسه فى جيبى لأطلب من ( عادل ) أن يجد شيئاً مهماً فيه . إن كفاءة رجال الشرطة تتلخص فى قدرتهم العددية ومثابرتهم الصبور . فقط رجال الشرطة يستطيعون أن يعرفوا كل شيء عن كل اسم فى هذا الدفتر خلال أسبوع ، بينما أحتاج أنا إلى عام كامل لهذا ..

كانت هناك مجموعة صور فوتوغرافية لأشخاص .. بعض الصور عتيق وبعضها حديث ..

أم الحائزة الكبرى فكانت تلك المخطوطات التى تم وضعها فى كيس بلاستيكي صغير . إنها عتيقة جداً وأصلية . وكتبت بحروف لا يمكن أن تعرف كتبها .. ليست

العبرية ولا للسريانية ولا أية لغة أعرف منظرها .. لغة ( عفاريتى ) .. هذا هو الوصف الأدق ..

وعرفت أن هذا المخطوط مهم .. ربما يفهم ( كولبى ) شيئاً منه فيما بعد . وربما يمكن تكميره لنحرم ذلك الشيء من شيء ما مهم .. لا أعرف . المهم أن يكون معك لا مع ( مختار ) ..

أغلقت الدرج وسألت الزوجة :

« هل من مكان آخر تشكين فيه ؟ »

قال ( كولبى ) الذى لم يفهم السؤال الأخير :

« الثلجة ' لابد من رؤية الثلجة ! »

« طلب غريب بعض الشيء .. »

بنكاء قل :

« رأس الاستحواذ يكون موضوعاً فى الثلجة دائماً ! »

قلت فى لا مبالاة :

« لا تنس أن البيت يعج بالخدم والزوجة نفسها .. هذا

الذى تقوله يحدث حينما يكون الشخص نخباً متوحداً مثلى .. »

قالت الزوجة التي كانت تتابع المحادثة بالإنجليزية :

- « بالفعل لا يوجد شيء من هذا .. لا أعتقد أن هناك أماكن أخرى يمكن أن تكون صومعته الخاصة . غرفة النوم ليس فيها إلا الفراش وخزانة الثياب .. وأنا متأكدة من أنه لا شيء يريب بصددهما .. »

هكذا وصفت كل الكنوز في الحقيقة التي يحملها ( كولبي ) وأشارت له أن الوقت حان للرحيل .

لكنه استسم اتحه إلى خزانة الكتب الجدارية ، وقال لى :  
- « ساعدنى على إزاحتها ! لابد من أن نرى ما خلفها ! »  
قلت له فى ارتباك :

- « كف عن الجنون لا يستطيع الرجل أن يزيحها لى سبب و .. »

لكنه راح يدفعها بذراعيه وردفيه واحتقت عروقه واحمر وجهه هكذا اتجهت إليه ورحت أساعده على قدر ما تسمح صحتى ..

قالت مدلم ( طياء ) :

« That's nuts .. لا يوجد شيء هنا .. »

لكن المكتبة بدأت تنزاح ببسطة بطريقة الخلقة المعروفة .. هوب هوب ! هوب هوب ! دفعة صغيرة تلو دفعة صغيرة .. هكذا قررت أن تستسلم وبدأت تنزاح جانباً فوق البساط الذى قتل احتكاكها بالأرض .

هنا فقط أدركت أن ( كولبي ) مفيد جداً

وراء المكتبة كان ذلك النفق الذى يبلغ ارتفاعه قامة طفل فى العاشرة . فتحة فى الجدار تقود إلى ممر مظلم . لكن إضاءة زرقاء تأتي من مكان ما تضئ جوائبه .. لا أريد أن أبدو هستيرياً لكن هذا النفق بدا كأنما هو يقود إلى الجحيم ذاته . من يجسر على الدخول ؟ من ؟ ليس أنا .

صحت فى بلاهة :

- « هذا لا يصدق .. وإلام يقود هذا الممر ؟ »

نحن فى الطابق الثانى .. والبيت منعزل لا يحيط به شيء . إذن .

قالت الزوجة بدورها وهى ترتجف :

- « لكن جدار غرفة المكتب لا يقود لشيء .. لا يوجد إلا للخارج فى الجهة الأخرى ! »



قلت وأنا لكهت وأجفف عرقى :

- « ربما هو جدار مزدوج . غرفة سرية ما .. هذه الأشياء وردة .. »

بدأ عليها عدم التصديق ، فقال ( كولبي ) :

- « لا هذا ولا ذاك . هذا نفق بين الأبعاد . إنه الممر الذى يتصل به ( مختار ) بالكيانات القديمة .. وهذا لا يخضع للجغرافيا المعهودة . تدخل منه فتخرج فى مجرة أخرى ربما فى زمن آخر ربما . كنت أعرف أننا سنجده .. »

ثم وقف عند مدخل النفق ، ومن حقيقته أخرج أشياء تشبه الأوتاد - لكنها فضية اللون وراح يثبتها بمطرقة صغيرة على الحدران ، ثم أخرج قنبلة صغيرة بها سائل أحمر قان راح يثر محتواها على المدخل . بعدها أخرج كتيباً راح يقرأ منه أشياء لم أفهم . لكن أحسها ..

هنا كان الصوء الأرقى يترافق مع كلماته ؟ لست متأكداً

فقط رحلت أتوقع أن تخرج من النفق يد مخرّبة عملاقة تمسك به وتجره إلى الداخل . لم يحدث هذا لحسن حظه

فى النهاية توقف عن الكلام . وقال بصوت هامس :

- « اعتقد أنني أغلقت هذا الممر .. لن يستطيع العودة منه .. »

- « ألا تحتاج إلى بعض الخرسانة والقرميد كذلك ؟ »

قال دون أن يضحك :

- « لا .. الأمر ليس مادياً إلى هذا الحد .. إن قوته مربعة ولن يعوقه شيء كهذا .. لن يعوقه إلا رمز .. »

فى هذه اللحظة تصلب ثلاثنا ..

لقد سمعنا صوت باب يفتح ثم يغلق بالطابق السفلى !

لم نجد وقتاً لعمل أى شىء .. خرجنا من المكتب ومشينا  
فى الدوق مصرعين ..

وفجأة وجدناه أمامنا !

\*\*\*

كان وميماً رائعاً متأنقاً مهنئاً ..

هذا هو ما رأيته بلا أدنى مبالغة .. شخص ظريف له  
طابع أولاد البلد الودودين .. هل قابلت يوناتيا ممن عاشوا  
فى مصر طيلة حياتهم وأتقنوا العربية ؟ له ذات الطابع  
المحبب الذى يجعلك تشعر بأنه صديقك على الفور .. من  
المسهل أن يثق (يوسف) .. به ..

المشكلة الآن أنه ضيقنا متلبسين .. لو قابلنا على الباب  
لكان التفسير ممكناً ..

كان ينظر لنا بوجه مشرق مرحب ، فصاحت الزوجة على  
الفور :

« د. (مختار) .. زوجى .. د. (رفعت) .. مسر  
(كولبى) .. جميل أن تلتقوا هنا .. جميل جداً .. أنا .. أنا  
مسرورة .. »

== ٦ ==

« لقد عاد ! »

قالت الزوجة وهى تنتفض كورقة .. فانتفضنا بدورنا .

« قلت إنه سيبيت ليلته هناك ! »

« قلت وقال .. واضح أن الظروف تغيرت .. »

تساعل (كولبى) وهو صاحب الوجه :

« ماذا نفعل ؟ »

« أولاً نعيد المكتبة إلى مكانها ثم نفكر .. هل يمكنك  
أن تعادى الدار معنا يا مدام (علياء) ؟ »

تقلص وجهها المذخور وقالت :

« سيكون هذا صعباً .. سيثير ربيته .. »

« نيس من مصلحتك أن تبقى معه . قلت إنه سيعرف

كل شىء .. »

« (علياء) !! »

هذه كانت من الطابق السفلى . لقد عاد الزوج فعلاً وهو  
يبحث عن زوجته الحبيبة التى حرماها من الإجاب .. هكذا

لكن لهجتها كانت تقول بوضوح : أنا لم أفتح برج مكتبك  
وأكشف لهم أسرارك .. لو حصبت هذا فأنت مخطئ ..

ابتسم ابتسامة رقيقة وقال :

- « هل لى أن أشرف بمعرفتهم فعلاً ؟ إن الأسماء لا  
تكفى يا عزيزتى .. »

قالت بتلك اللهجة المتصارعة :

- « الدكتور ( رفعت ) طبيب نفسانى .. لقد دعوته  
لأحدثه عن حالات الاكتئاب . الاكتئاب . التى .. أنت  
تفهم قال لى إن رؤية بيتى مستاعده على .. »

- « فهمت .. »

ثم قال وهو يشير إلى غرفة المكتب :

- « لو سمحتما لى فأنا أيضاً لدى أسئلة مهمة . نحن  
لم نترك فرصة كهذه دون أن نعلمها . أنت تعرف ما إن  
يدرك الناس إنك طبيب حتى يحدث كل واحد منهم فى جسده  
عن غلة ما . هذا نوع من ( الاستخسار ) لو سمحت لى  
بالفصير . هلا أعددت لنا الغداء يا ( علياء ) .. أنا لن أترك  
صيفى يرحل على سبب . أين الحزم يا ( علياء ) ؟ »

ونظر لى وغمز بعينه وقال ضاحكاً :

- « كما يقول الشاعر العربى القديم :

سألونا عن قراه .. فأختصرنا فى الجواب

كان فيه كل شىء .. باردًا إلا الشراب ! »

طبعاً ( القروى ) بكسر القاف هو ما يقدم للضيف من طعام  
لو شراب .. إن الرجل مثقف كذلك . لكنى لن أدهش لو كان  
قد سمع هذين البيتين من فم الشاعر ( الزوزنى ) نفسه ..

قالت ( علياء ) الهالسة وهى تحاول تفادى عينيه :

- « أعطيت .. أعطيتهم إجازة .. »

- « آه .. أخشى أن إعداد الطعام سيكون مسئوليتك ..

والآن أرجو أن تصيقاتى إلى المكتب . »

كنت أعرف أن هذا سخف . لو كان هو من الشياطين  
الشريرين فهو يعرف بالتأكيد دورى فى القصة . إنه يقودنا  
لفخ ما .. لكن كيف نتخلص منه ؟

هكذا عدت إلى غرفة المكتب مع ( كولبى ) وجلسنا على  
مقعدين هناك بانتظاره . المكتبة ! لم نعدا إلى مكانها  
لكن لا وقت لهذا الآن ..

فجأة رأيت (كولبي) ينظر إلى شيء في يده . ثم نظر  
لى وعيناه تتوهجان :

- « القلادة ! قلادة (موسفاديم) تتوهج ! أحد الشياطين  
يتحرك للقتل ! »

أحد الشياطين ؟ لدى شعور غريب بأشئ أعرف من  
هو ..

هكذا نهض معرّفاً وأثاماً معه ..

أين نذهب ؟

فجأة رأيت ذلك النفق فصحت فى (كولبي) أن يتبعنى .  
لا يوجد مخرج آخر فى الحجرة كلها غير الباب وهذه  
الفتحة لو كان حماراً - وأنت أثق بهذا - فقد انتهى أمرنا !

هكذا عبرنا مدخل النفق ووقفنا متصلبين نرمى غرفة  
المكتب الحالية . لحظات قبل أن يفتح الباب ويدخل الدكتور  
(مختار) لقد انتهى عصر المجاملات الرقيقة والأقنعة .  
وبدا عصر الرعب ..

لقد صار طوله ثلاثة أو أربعة أمتار وانفجر الشعر  
لثائر على جانبيه رأسه كالمدعوبين عيناه بنون الدم والدم

يسيل من شذقيه .. ليست له يدان وذراعان بالمعنى المفهوم  
لكنها كتل يروتوبلارمية أميبية تسيل وتزحف فى كل اتجاه  
وبسرعة لا تصدق . الدخان كبريتى الرائحة يتصاعد من  
جسده ..

رباه ! أنا الذى زرت جانب التجوم وحسبت أنى رأيت كل  
شيء !

من بين شفتيه يدوى صخب هو أقرب إلى حروف :

ا ج ج ج ج ت ت و و و ش ش ش ش ش ش ش  
ش !!

لكن هذا ليس كل شيء .. كان يصرخ وهو يجر  
(علياء) من شعرها كلها دمياً :

- « تكلمت يا امرأة !! »

ورأيت السيدة (علياء) تجرّ على الأرض جرّاً وهى  
تصرخ وتتوسل :

- « لم أذّر أحداً . ! لقد جاءا إلى الكمين كما اتفقنا . !  
لا أجمر على عصيان أوامرك ! صدقنى ! »

فهمت الآن سر عودته المفاجئة .. كانت طعمنا لنا لكنها



كانت مرغمة على ذلك كما هو واضح .. لا ألومها كثيراً  
بعد ما رأيت حقيقة هذا الرجل ..

تخلص منها بطريقة بسيطة هي أنه قذفها قذفاً لتضرب  
الجدار بظهرها ثم تهوى على الأرض وهي تن . اعتقد أنها  
ماتت أو تحطم ظهرها .. فلا أحد يتحمل ضربة كهذه .

لكننا كنا في أسوأ حال بدورنا فلم نجد الوقت الكافي  
للسواح والتمرغ على الأرض باكين

إنه ينظر لنا ثم يضحك . أقذر وأسود وأبشع ضحكة  
رأيتها في حياتي . من أين جاء هذا المسخ ؟ لم أر هذا  
الفرد من الشر من قبل برغم خبراتي غير المتواضعة .

يلق عيبه بلسانه لسان أزرق يتفرع إلى ما يشبه  
أقدام الضفاد . ثم يقول :

« الآن حان وقت المزاح أيها الصبيان »

ثم ينقص عينا والدم يتناثر من حوله دخان الكبريت ..  
القطرات اللزجة .. كل شيء ..

إنه قادم ..

قادم ..

قادم ..

أغمضت عيني ولرتجف (كولبي) كلورقة .. وراح يهمس :

« الحمام .. ! الحمام !! »

على أنني أدركت من منظر ساقيه أنه بلل نفسه فعلاً ..  
لم يعد بحاجة إلى الحمام إلا ليستحم .

« .. أعرف أنكما من دوني ستكونان دجاجتين عجوزين  
حمقاوين .. » قالها ( عادل ) وكان محققاً لكنني أتمنى أن أرى  
ما كان سيفعله لو كان معنا ..

في اللحظة التالية رأيت ذلك المسخ يتراجع وقد صارت  
غضبته لا تصدق ..

همس ( كولبي ) بصوت كالضحك :

« لقد نجحت في غلق الفتحة .. ! نجحت ! »

فتحت عيني ونظرت .. لولا تلك القلادة لتأخرنا أكثر من  
اللازم ولانفرد بنا المسخ في الغرفة .. ولولا هذا الباب غير  
المرئي الذي شيده ( كولبي ) لما فصل بيننا والمسوخ شيء ..

ووقفنا نراقبه يحوم حول الفتحة وهو يزار .. يحطم  
المكتب .. يسقط الكتب من فوق الأرفف ..

صحت من حيث وقفت :

« يا دكتور (مختار) ! »

بدأ لي هذا القلب مضحكاً الآن .. لكنى واصلت الكلام :

« لو كنت تفعل هذا كله باعتبار أنني أعرف التسعة عشر شيطاناً فأنت محظن .. أنا لا أعرف سواك .. الذين ماتوا جميعاً لم يعرفوا سواك .. »

لم يتكلم وواصل الدوران في الغرفة ..

قلت لـ (كولبي) وأنا أمسك بيدي يده الباردة الراجفة :

« اعتقد أنه لن يتركنا نخرج من هذا الجانب يجب أن .. يجب أن نجتاز النفق ! »

.. - ٧ -

أنت تجتاز هذه الثغرة بين عالمين ..

تمشى في عالم لم يجتزه سواك من قبل .. لم يجتزه إلا تلك المسوخ .. ربما اجتازه (كراولبي) .. ربما اجتازه (دي) .. لا شك في أن (الحظرد) اجتازه .. لكن (الحظرد) مات .. وأية مية !!

تمشى مع (كولبي) محاذراً أن تتعثر في الأرض .. إنها مزيج غريب من اليابسة والماء .. مزيج من النار والرماد .. مزيج من الحقيقة والوهم ..

الهواء مزيج من السماء والأرض .. يمكنك أن ترى نفسك مقلوباً هناك .. ومن حين لآخر يشق السماء مذنب ليس سوى وطواط منتهب يصطدم بشيء ما فيتناثر الشرر ..

إننا ندنو من قلب الشر .. قلب الكوابيس ..

\*\*\*

« إن النكروونوميكون كتاب تاريخ يحكي عن الكيانات القديمة أكثر منه دليلاً للسحرة المبتدئين كما يظن البعض ..

وهذا هو ما يجعل الكتاب مخيفاً .. فهو لا يعتقد بأننا ملوك الكون وأن الكون في خدمتنا ، بل هو يتحدث عن كون معاد فيه قوى عاتية ، بينما نحن مجرد غبار معدوم الحيلة وما يبقينا أحياء هو أننا أنفقه من اللازم .. »

\*\*\*

هنا يصطدم الجبابرة . جبل يقاتل جبلاً .. شلال يصارع شلالاً .. محيط يضطرم في محيط ..

وتنتظر إلى السماء فتري ( رفعت ) الطفل يركض في شوارع المنصورة . أرى وفاة أبي .. أنا أجلس في عزاء أمي . عجلات الطائرة تلمس الأرض البريطانية .. سير ( أرشيبالد ماكيلوب ) يقدم لي تلك الشفراء الرقيقة الناحلة ويقول باسمي . « ابنتي ( مجي ) . » . المريضة تموت وأنا غارق في العرق . ( لوسيفر ) يضحك ويقول : « أنا بك أسعد ونك قلبى يطرب . » و « مندهش أنت للقاء من لا ترتقب لقاءه أبها للفتى » ..

يرفع وحش ( لوخ نس ) رأسه من البحيرة . النداهة تنادي ( هويدا ) تتطهر بالحنان . رجل ( بكين ) يحطم عربة القطر . ( هن تشو كان ) يتراجع للوراء ويهتف :

« جوتغ سارايتا ١ » .. مومياء الفرعون تنهض .. الشيء يتمدد .. صندوق ( بندورا ) ألماسي فهل أفتحه ؟ العزيف .. العزيف .. ( رونيل للسوداء ) قد صارت زوجتي .. لماذا تلقى عظام الطيور تحت نافنتها ؟

لوس لوس مولادوس إيخيبيوس إستين إن لاس روناس ! لوس لوس مولادوس إيخيبيوس إستين إن لاس روناس ! لوس لوس مولادوس إيخيبيوس إستين إن لاس روناس !

لا تطلب الإسعاف .. لا تطلب الإسعاف .. لا تطلب الإسعاف وإلا مستنم !

لا تطلب الإسعاف . لا تطلب الإسعاف .. لا تطلب الإسعاف وإلا مستنم !

الصلاس يخرج من بين الرمال ليفتك بي .. ثم ترتسم الضحكة على وجه ( فلاك اللوالشي ) .. فلمفيرى .. فلمفيرى .. مكالمة أخرى بعد منتصف الليل مع ( شريف السعنى ) ..

في الواجهة الأولى ثمة يد بشرية .. يد مبتورة عند المعصم محفوظة في سائل ( الفورمالين ) .. هذا جميل وربما

هو من المناظر المبهجة بالنسبة لطبيب مثلى . لكن ما يشير  
الحيرة . وربما الرعب . هو تلك الأظفار الطويلة الشبيهة  
بالمخالب التى تخرج منها .. وعلى الزجاج كانت صورة  
رجل وقور يتسم هل هذه يده ؟ إذن لماذا يتسم ؟

اجنثو على ركبتي وأصرخ :

- « أنا تعبت لا أريد المزيد . ساموت هنا والآن . »  
الأيدى ذات المخالب تمتد من تحت الأرض وسط بخار  
الكبريت لتمسك به . يا لها من حفاوة ! لم يأخذنى أحد  
بالأحضان من قبل ..

ساموت هنا والآن .. وتكونن ميتة جميلة . إنها السبات  
ذاته ..

لفظ أشعر بـ ( كولبى ) يصرخ فى أنسى .

- « ( رفعت ) ! لا تمسك ! سوف يفوزون بك ! لا تترك  
نفسك .. ! يجب أن تخرج من هنا !! »

فحاة أرى العالم من حولى يتحرك . ومن معالم هذا  
العالم أرى خمسة كياتات فارعة الطول . تحيط بـ ( كولبى )  
لا أتسب حدود هذه الأشياء إنها أقرب إلى خدعة بصرية ما

لا أفهم .. إنها تذوب فى الخلفية ثم تظهر . كأنها انعكاسات  
على سطح ماء .. لا أتبين أى شيء منها ولا أحب ..

لكنى لوصل الصراخ :

- « هيا ! .. خذونى ! أنا قد خسرت كل شيء . ليس  
لى ولد ولا زوجة . مفعم بالأمراض والندوب النفسية ..  
ولن أظفر بحبيبتى أبدا .. كل ما ظفرت به هو كوابيس ..  
لن أضيف شيئا لو خرجت من عالمكم حيا لأن هذا سيكون  
مجرد كبوس آخر أحكيه للناس .. لا أكثر ! »

( كولبى ) يتكلم بلغة لا أفهمها .. إنه يمسك بكتاب ضخم  
فى يده ويفتح صفحته .. ..

الأيدى ذات المخالب تعصرنى .. تريد أن تجعل الحياة  
تنز منى كالليمونة ..

( كولبى ) يتكلم وسط أصوات زئير يتعالى .

( كولبى ) مذعور لكنه يتمسك ..

الزئير يحث عواصف تطير ثيابه وتبعثر شعره لكنه يتكلم ..

السماء تحمر ثم تدرق ثم تخضر ..

( كولبى ) يساعدنى على النهوض وأمامنا أرى العالم



الخارجي كما تراه من طائرة .. أرى شارعنا .. أرى الإسكندرية .. أرى الفيلا .. أرى الحديقة .. أرى غرفة المكتب .. إنها خالية ..

هناك كتب مبعثرة في كل مكان وجثة لزوجتي على الأرض ..

فجأة يشد (كولبي) يدي بحزم .. ..

إننا نخرج من الفتحة التي دخلناها .

فجأة أجد نفسي على أرض غرفة المكتب والأرض تلو وتهبط بي ..

أنظر إلى حيث جئت فلا أرى شيئاً . المكتبة مزاحة حيث هي ، لكن لم تعد هناك أية فتحات خلفها الجدار مصمت سليم ..

و (كولبي) جوارى يلحف على ركبتيه وهو يئن ..

أنظر إلى جوارى فأرى جثة للزوجة ملقاة جوار الجدار حيث تركناها ..

لقد سال الدم من رأسها والدم الذي يسيل ينساب على الأرض ثم يحتشد على شكل كلمة واضحة :

لم بعد ..

== ٨ ==

بعد ما استعدت توازني في غرفة الفندق ، أخذت حماماً ولقناً ثم سألت (كولبي) :

« ماذا حدث بالضبط ؟ »

كان أسوأ حالاً مني .. لم يتوقع أن يدخل إلى ذلك العالم الرهيب .. لكنه استطاع أن يصمد على الأكل بينما تهاوينا لنا ..

قال وهو يحفف شعره :

« فعلت ما فعله (دي) .. تكلمت مع الكيانات القديمة بتلك الشفرة ١ »

« ماذا ؟ أية شفرة ؟ »

« كتاب (إينوخ) .. .. ! إنه معي في حقيقتي ! »

ثم ربت على الحقيبة في فكري وقال :

« قالوا إنهم غير قادرين على إيدائنا ما دعنا نملك كتاب (نيكرونوميكون) كاملاً .. إن (مختار) أو هذا الذي يشبهه (مختار) كان أحمق .. لقد أتتته فكرة اقتضاح أمره هذه

( ١٧٤ - ما وراء الطبيعة عدد ٦٥ ) أسطورة العلامات الدائمة [

القاعدة البسيطة ، وحاول حرق القوانين . وعندما قابلت هذه الكيانات تكلمت معهم . أخبرتهم أنه لا جدوى من ايدائنا وأننا لا نريد إلا أن نترك وشأننا .. وأخبرتهم أننا لا نعرف عنهم شيئاً . هكذا قرروا أن يصدقوني . تمت الصفقة وسمحوا لنا بالخروج .. »

- « وهذا الذي اعتبرناه ( مختار ) ؟ »

- « احتلني إنه الآن في مكان آخر يبحث عن عمل ويحمل اسماً جديداً .. لهذا كتبت لنا الكلمات ( لم يعد ) لقد رحل . لم يعد وجوده ههنا مأموناً برغم أنه خطط للبقاء عشر سنوات أخرى .. »

دق جرس الهاتف في غرفة الفندق فرفعت السماعه . كان هذا ( عادل ) يصيح في خطف :

- « أتركك تعين البيت فتحيله خراباً ؟ الزوجة ملقت والزوج احتلني وحشة حامية سطرت دماؤها كلمات ! »

قلت في كبرياء :

- « لو كان أداي يضايقك فعليك أن تجد خبيراً غيري . لقد فعلت ما بوسعني .. »

ثم أضفت :

- « لكنها الجثة الأخيرة .. أنا متأكد من ذلك .. لقد انتهت القصة . أعرف أن هذا لن يفتح أية محكمة لكننا عرفنا على الأقل من قتل ولماذا قتل .. »

تتهدد في ضيق وضع السماعه .. كان طن من العمل بانتظاره الآن ..

\*\*\*

سوف يرحل ( كولبي ) غداً ..

ما زلت مصراً على أنه نصاب . وعلى أنه أحمق .. لكن وجوده في هذه القصة أفادني كثيراً . لا أنكر هذا . أعتقد أنني سأتوقف عن مضغ اللادن نصف دقيقة كلما تذكرته بعد سفره ..

كان يحزم حقائبه في شقتي بالقاهرة ، وقد تناثرت أشياءه على الفراش فجلبت له كيساً بلاستيكياً امتلأ بالورق وقلت له :

- « لقد استحققت هذا الكتاب أنا لا أريده لا أحد يريده .. لكني أعتقد أنه سيبيدك حتماً »

قال ضاحكاً وهو يضع الكيس بين طيات ثيابه :

« جميل جميل . هذا هو هدف رحلتى . الآن أنا أقوى ساحر في العالم كله .. أنا أملك النيكرونوميكون كاملاً .. لو احتفظت به لصرت الأقوى ، ولو بعته لصرت الأغنى ! »  
 « أتمنى أن يغير شيء من حظك العاثر هذا . »

ثم جمعت أوراقى التى فى خزانة الثياب .. اتجهت إلى المطبخ وهدأت أحرق مذكرات ( يوسف ) . ومذكرات ( زكى ) . فأنا لا أحب أن أرى شيئاً يذكرنى بهذه القصة .. الدخان يتصاعد وأنا أقف إلى حوض غسل الأطباق .. الأوراق تتحد ثم تسود ثم تصير رماداً

فجأة وجدت ( كوليس ) وراء ظهرى يلقي نظرة ، ثم سمعته بهتف :

« ما هذا ؟ »

كان ينظر إلى ذلك الملف الخاص بالمدعو ( مصطفى أبو زينة ) الملف الذى كتب عليه ( استنتاجات بشأن العشرين شيطان ) مد يده وانتزع وراح يحمل فى يده . لم يفهم المكتوب بالعربية لكنه راح يطالع أول سطر :

— « Frrrj fytjg 8ojkll gkjg lhh khkhhou889j »  
 « uxvyuiouymklmm »

ثم هتف بتهيار :

« هذه شفرة . شفرة ( إينوخ ) .. لماذا لم تجعلنى أرى هذا الملف من قبل ؟ »  
 « لم أعرف أنك تهتم بهذا .. »

قال مفكراً :

« معنى هذا أن رجلين على الأقل كانا يعرفان شفرة ( إينوخ ) .. وكانا يستعملانها كلفة خاصة طلباً للسرية . »  
 ثم راح يتأمل الأوراق وهتف فى اتبهار :

« هذه الأوراق لا تحوى أسماء لكنها تحوى قواعد أساسية للبحث عن العشرين شيطاناً . إن هذا لا يصدق ! لقد بلغ هذا الباحث ذروة الدقة والتجرد . يمكن بسهولة لآية هينة أن تبحث بعناية طيف لهذه القواعد فتجدهم . إنه يشرح كيف تجدهم أين تجدهم . العلامات المميزة لهم . وهو يضيق دائرة البحث إلى أقصى حد »

قلت له فى نفاد صبر :

« هل تريد هذا الملف أم أحرقه ؟ »

- « بل أريده برغم أنه خطر .. من الواضح أن كل من اقتناه هلك .. »

- « لقد ظل معي فترة طويلة جداً .. »

- « لقد حماك كتاب ( نيكرونوميكون ) .. لكن نهايتك كانت قريبة .. »

وعدا إلى حجرة النوم ليواصل تفقد حاجياته ..

كانت القلادة ملقاة على الفراش . وحالت منى نظرة لها فوجدتها تتوهج ..

« القلادة ' قلادة ( موسفاديم ) تتوهج ! أحد الشياطين يتحرك للقتل ! »

( كولبي ) منحرف عنى حقايقه بتفحص الملف .. ساعده ظاهر لعيسى هناك وشم واضح عند المعصم . ربما وحمة لا أتبين الرسم من هذه المسافة .. هل كانت هناك وحمة هنا من قبل ؟ لا أذكر بل لا أعتقد .

« تارة تشعر أنها دائرة سوداء ، وتارة تراها أقرب إلى شعر نحاري فلا ينقصها إلا رمز ® . وتارة هي ثعبان يبتهم ذيله أو حمار حماسي ربما سداسي .. »

ثم السؤال : لماذا لم يدخل ( كولبي ) الحمام مرة واحدة منذ عودتنا من الإسكندرية ؟ هل شفيت البروستاتا فجأة ؟

مفاوضات مع الكيانات القديمة .. فهل هذا الساحر التنص يملك هذه البراعة ؟ ومنذ متى يجيد شفرة ( اينوخ ) ؟

للجواب الوحيد هو أن هذا ليس ( كولبي ) .. إنه واحد منهم عاد معي من النفق .. ومهمته أن يعرف ما أعرفه بالضبط .. عليه أن يجد أى أثر يفيد فى البحث عن العشرين شيطانا .. وقد وجدته الآن وانتهى دورى فى القصة .

اتجهت إلى المطبخ وتناولت أكبر سكين عندى وعدت به إلى غرفة النوم . إن ظهره لى .. ترى هل ؟

ليس قتل هذه الأشياء سهلاً .. لكن ربما لو أخذته على حين غرة ؟ وبم أهرق قتله أمام رجال الشرطة ؟

هنا دق جرس الباب فأجفت ..

لنفت لى فدريت ما أحمله تحت ثيابى وبصوت متحشرح قلت :

- « أحدهم على الباب .. »

قال وهو يعود لما كان يقوم به :

- « فلتز من .. »



اتجهت إلى الباب وفتحتَه فوجدت ممسكاً الشرطة  
(شوقى) الذى يحضر لى الأوراق . ثم أسر من قبل كما  
سررت برؤية وجهه البريء الصبوح

قلت له فى لهفة وهو يلتقط أنفاسه .

- « تعال . لابد من أن تجلس قليلاً لن أتركك هذه  
المرة .. »

دخل مرتبكاً وهو لا يفهم سر هذه الحفاوة فأجلسته .. أنا  
متأكد من أن (كولبى) لن يهجم وأنا لست وحدى . لكن  
لا من قال هذا؟ فى حالتي كاد القتل يحدث فى بيت  
(مختار) وقد كنت ثلاثة . ما سبب صوت الطرقات هذا؟  
ماذا يدق ذلك المسمك فى غرفة نومى؟

- « أهلاً وسهلاً .. »

- « أهلاً بك .. »

- « مرحباً »

- « مرحباً بك »

- « لقد شرفت دلى .. »

- « للشرف لى .. »

وهو مرتبك لا يفهم سبب هذا كله .. أترانى جننت ؟  
هنا سمعت (كولبى) ينادينى من غرفة النوم بصوت  
متحفظ :

- « أ .. ( رفعت ) ! »

ماذا يريد ؟ هل يريد الانفراد بى ؟

اتجهت فى حذر إلى الغرفة فرأيت بشير لى كى أدخل  
نظرت للوراء فى تردد ثم قدرت أنه لن يفعل شيئاً الآن ..  
إنه يريد أن يكذب .. أعتقد هذا ..

دخلت الغرفة لأرى ما هناك فوجدت ناراً تشتعل فى ركن  
الغرفة .. أوراق متناثرة فى كل مكان كلها تحترق .. ماذا  
فعلت أيتها المخبول ؟ ستحرق الغرفة ونحن فيها .

إنه يقف جوار الباب وينثر فطرات من ذلك السائل  
الأحمر على الأرض . نظرت للباب ففوجئت بأنه دق وتدين  
فضيين .. ثم أخرج كتابه إياه وراح يتلو كلمات معينة

ما هذا ؟ هل استبدت به روح التمثيل - جنون المسرح -  
إلى هذا الحد ؟ ما معنى أن يسجن نفسه فى الغرفة ؟ أم أن  
هذا كان تمثيلاً هنا وهناك ؟ أم ؟

صحبت فی جنون :

« لا بد أنك فقدت صوابك ! لماذا تحرق الأوراق في  
غرفة نومى ؟ »

قَالَ بِصَوْتٍ كَالْفَحْرِجِ :

- « إن القلادة تتوهج... رأيت هذا الآن »

قلت متظاهراً بالبراءة :

« وما في ذلك ؟ »

قال وهو يجذبني إلى التوراة :

« لقد سمعوني .. يبدو أنهم لم يعرفوا أن هذا الملف  
الخطر موجود .. وقد قرروا إرسال من يدمرنا .. وقبل أي  
شيء أحرقوا الكتب .. أحرقوا ( النيكرونوميكون ) حتى  
يكون بوسعهم تدميرنا بلا مشاكل مع قوانينهم ! ثم .. »

ونظرت للوراء لأرى الهول ذاته ..

لقد تحول عم (شوقي) إلى شيء مخيف لا يمكن وصفه .. شيء يختلف تمامًا عن (مختار) .. ليس لهذه الكيانات شكل واحد فيما يبدو ..

لقد كان (كولبي) صادقاً .. كان الخطر خارج الغرفة  
لادخلها ..

! ج ج ج ج ت و و و و ش ش ش ش ش ش  
ش !!

قلت همصاً وأنا لا أبعد عيني عن الباب :

— « ما سر هذه الوحمة على معصمك ؟ »

- « هذا وثم .. الساحر المحترم لابد أن يستعمل  
الوثم .. »

— «ولماذا شقيت من دخول الحمام؟»

- « لم أشف .. لكنى لن أعلن فى الراديو عن كل مرة أحتاج فيها إلى التبول .. هل هذا وقت هذه الأسئلة للصحيفة ؟ »

إن ذلك الكائن يعوى ثم ينقض على الغرفة ..

! ج ج ج ج ت ت و و و و ش ش ش ش ش ش !!  
 فجأة يبدو كأنه اصطدم بجدار زجاجي صلب .. يتراجع  
 ويهجم من جديد ..



لكنه لا يمل ولا يكل ..

زليده يصم الأذان .. إنه لن يكتفى باقتلاع قلوبنا بل  
سيقتلع أكبادنا .

ا ج ج ج ج ت ت و و و ش ش ش ش ش !!  
صرخ (كولبي) بكلمات بلغة لا أعرفها وأخرج من جيبه  
عود ثقاب ..

نظرت بطرف عيني لأراه يحرق الملف الذي كان على  
الفراش .. ملف العشرين شريطاً ..

صرخت وألقيت بالأوراق المشتعلة على الأرض ورحلت  
أبعداً عن الفراش ..

وفجأة ساد الصمت ..

نظرت إلى (كولبي) ونظر هو لي ..

ولم حذر اتجهنا إلى الباب فوجدنا الشقة خالية تماماً ..

لا شيء سوى رائحة الرماد .. لا شيء سوى الفوضى ..

غرفة النوم عبارة عن مسرح عمليات تناثرت فيه أوراق  
محترقة صار من المستحيل قراءتها .

وهمس (كولبي) وهو يلهث :

« لا أعرف السبب لكن أعتقد أنهم قرروا أن الخطر قد  
زال .. لقد انتعوا بما قلته لهم .. لا أحد سيعرف محتوى  
ذلك الملف .. »

قلت وأنا أسمع الزلزال في أنفي :

« أرجو هذا .. »

\*\*\*

حقاً أرجو هذا ..

لقد سافر (كولبي) وبرحيله بدأت أشعر بالذعر .. فهو  
الشخص الوحيد الذي أعرفه ويعرف ما يفعله في هذا  
الموضوع .. من الغريب أن أجد (كولبي) ذا نفع لأول مرة  
في حياتي لكنه حدث ..

ترك لي القلادة .. فعلقها جوار فراشي .. إنها مفيدة  
وإن قال لي :

« ليس معنى توهجها أنك هدف القتل .. ربما تحرك  
أحدهم في الصين أو ألمانيا ليقتل شخصاً سواك .. على  
الأقل سيكون عندك وقت كاف لاتخاذ قرارك الخاص .. »



قلت له وأنا أنتهد :

« أعتقد أنهم لن يرتكبوا أعمال عنف إلى أن يقرروا أن الوقت قد حان .. معنى هذا أن توجهها يشير إلى بشكل خالص .. »

ثم أضلت باسمًا :

« بعد كل هذا الجهد أنت تعود من دون كتابك اللعين »

قال في مرارة :

« إلى حد ما أشعر أن هذا الكتاب أنقذ حياتنا أكثر من مرة .. لكنني لن أكف عن البحث .. سأجده وعندها .. »

ما لم أقله له هو أن هذا الكتاب كامل تقريبًا لدى رجال الأمن .. صحيح أن أجزاءه متفرقة لكنه كامل ويمكن جمعه بشيء من الجهد ..

لكن من يريد ذلك ؟ حقًا من يريد ذلك ؟

هناك كذلك تلك المخطوطات التي وجدتها في مكتب (مختار) .. يمكن أن أعرضها على (عادل) .. ربما تعوى معلومات عن باقي الشياطين .. لكن .. لا .. لن أجازف بهذا .. أنا لا أعرف شيئًا عنهم ولن أجازف بتبديل هذه الصورة .. هذه المخطوطات سوف تحرق اليوم بالذات ..

\*\*\*

إن التكرورنوميكون كتاب تاريخ يحكى عن الكيانات القديمة أكثر منه دليلًا للسحرة المبتدئين كما يظن البعض. وهذا هو ما يجعل الكتاب مخيفًا .. فهو لا يعتقد بأننا ملوك الكون وأن الكون في خدمتنا ، بل هو يتحدث عن كون معاد فيه قوى عاتية ، بينما نحن مجرد غبار معدوم الحيلة وما يبقينا أحياء هو أننا أنفقه من اللازم ..

\*\*\*

كان الرجال الذين لم يعودوا كذلك بانتظارى .. ولم تكن هناك فرصة لالتقاط الأنفاس ..

ولكن هذه قصة أخرى.

\*\*\*

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

تمت بحمد الله



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس  
من فرط القموش والرعب والأثر

## روايات مصرية للجيب

### أسطورة العلامات الدامية

نتحدث اليوم عن كلمات نجدها

مكتوبة بالدم جوار جثث القتلى .. من

كتبها ؟ .. القتل أم القاتل ؟ .. هذا سؤال مهم ..

والأهم منه هو ما الذي يجمع هؤلاء القتلى معاً ؟ ..

قصة مقبضة هي عن الشياطين والقلوب المنزوعة

وسحر (الكلابا) .. قصة عن الظلام والوحشة

والعجوز (رفعت إسماعيل) الذي لم يعد يرى

الوحدة ممتعة إلى هذا الحد ..



د. محمد غزالي

العدد القادم

أسطورة

الرجال الذين لم يعودوا كذلك



المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر  
1000 - 1000 - 1000  
1000 - 1000 - 1000

الأسمن في مصر ٤٠٠  
وما يعادل بال دولار الأمريكي  
في مائة الف الف الف الف الف